قَدَري أنتَ

قدري أنت

عمرو النجار

الطبعة الرابعة، القاهرة 2019 م

غلاف: أحمد فرج

تدقيق لغوي: خالد رجب عواد

رقم الإيداع: 2018/15195

I.S.B.N: 978-977-488- 580 -0



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان: 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف: 01111947957

بريد إلكتروني: daroktob1@yahoo.com

قَدَري أنتَ

رواية

عمرو النجار



دار اكتب للنشر والتوزيع

ليس أكثر ما يُؤلِمُك هو فِراق أحدهم، بل ألّا يكون هناك مجالٌ للرجوع، فهذا الأمر عندما يُراوِدُك كافٍ أن يقتلك بين الحين والآخر.

رغم أن يوم زفافه كان في منتصف فبراير البارد، ورغم قطرات المطر التي تتساقَطُ فوق جبينه الآن، فإنه يحترقُ من الداخل، نَظَرَ حوله بعينين خاليتين من الحياة، يترقّبُ نظرات تزيده آلامًا فوق آلامه، لم يكن يدري هل يفرح، أم يستمر في أحزانه التي تقتله؟!

يزدادُ الوجع في قلبه تدريجيًّا، كلّما تقلّص الوقت لديه، عيناه تائهتان، كم يتمنى أن يملأ العالم بصرخاته المكتومة داخله! لكن لا مجال لذلك، مالَ بجسدِه نحو أحدهم قائلًا:

– أحمد إدينى موبايلي معلش عايز أشوف حاجة.

ظهرت علاماتُ الدهشة على وجهه، ولكنه قَطَعَها بسخرية ضاحكًا:

– موبايل! وهو فيه عريس يوم فرحه يا ابني يمشي بموبايله، عايز تكلم مين يا ياض أنت؟

التفتَ عمر حوله خوفًا من أن يُلاحِظَه أحدٌ من الموجودين، وعندما اطمأنَّ أنّه لم ينتبه أحدٌ للصوت، اقتربَ منه وأكملَ هامسًا:

– هاته وبطل غلاسة، وما تعليش صوتك علشان ما حدش يلاحظ.

زَفَرَ أحمد في ضيقٍ، وأعطاه الهاتف، ولكن لم تتركه نظراته التي تُراقِبُ عمر، كيف لعريس يوم زفافه أن يتصرف مثل هذه التصرفات؟! لم يتفوَّه بأي كلمة، فأدار وجهه إلى موضع قدميه مُحدّثًا نفسه:

(أخشى أن يكون ما أفكر فيه صحيحًا).

تحرّك عمر خطوتين، واستقر في أحد الأركان، وأمسك بيده التي ترتعش هاتفه ثمّ كَتَبَ:

(سارة أنا عارف إنك شيفانى أزبل إنسان في الدنيا، بس أنا مش كده، صدقيني أنا عمري ما نسيت أي حاجة أو تفصيلة بينا، وعلى فكرة أنا اخترت يوم جوازي يكون في ذكرى اليوم اللّي سيبنا فيه بعض، علشان أفضل طول عمري حاسس بالذنب وأنا مع حد غيرك، سامحيني).

ارتعشت يداه أكثر، حاول أن يسيطر على نفسه، يتذكر كلّ شيءٍ كأنّه أمس، الذكريات تقتله!

(اوعدني أنك مش هتسيبني).

سالتْ دموعه الحارة كما لم تَسِلْ من قبل، كيف تفعل هذا أيّها اللعين؟ هل أصبحت حجرًا لا يشعر، كيف؟

– تاني يا عمر مش دي كانت قصة وراحت لحالها، يا ابني أنت النهاردة عريس!

قالها أحمد بعصبية جعلت عمر يستفيق من شُروده لحظاتٍ كمن سُكب فوق رأسه مياهٌ باردة في هذا الطقس المتجمد، ظهرت علاماتُ الشفقة على وجه أحمد فقال في عطفٍ:

– انسى اللي فات يا عمر عشان خاطري، صدقني مش هتلاقي حد يحبك قد "سما"، دي بتموت فيك يا ابني، ومستعدة تعمل أي حاجة علشانك، وبعدين من الآخر يا عمر، اللي بيحب حد عمره ما يسيبه.

ابتسم عمر في سخرية، ونَظَرَ إليه مُحدّثًا نفسه دون أن يُصدر صوتًا:

(أنت لا تفهم شيئًا!)

(كيف للظروف أن تكون بهذه القسوة؟! أريدُ أن أعرف مَن الأحمق الذي قال إنّ الحياة لا تتوقف على مغادرة أحدٍ وتستمر؟! لقد وقفتُ بالفعل!)

ظلّ شاردًا في التفكير، حتى قاطعه أحد أصدقائه قائلًا:

– إيه يا عريسنا أنت هتسيب العروسة تخلل في الكوافير ولا إيه؟ يالا نجيبها علشان ما نتأخرش على القاعة.

ابتسمَ عمر وذهب معهم حتى وصل إلى باب السيارة، هم يضحكون ويُداعِبونه، وهو في عالمٍ آخر، إنها الذكريات تقتله.

لم تظهر الابتسامة الصادقة على وجهه إلا عندما أسندَ رأسه للوراء وتذكّر كل شيء.

(هنا فقط يجد السعادة الحقيقيَّة، مع ذِكراها).

"تُمسك قطعة من الحجر بين أصابعك، ترفعها ثمّ تُلقيها في مياه دافقة، قد لا يكون من السهل رؤية ذلك، إذ ستتشكل مُويجة على سطح الماء الذي سقط فيه الحجر، ويتناثر رذاذ الماء، ولكن ماء النهر المتدفق يكبحها، هذا كل ما في الأمر، ارمِ حجرًا في بُحيرة، ولن يكون تأثيره مرئيًّا فقط، بل سيدوم فترة أطول بكثير، إذ سيعكر الحجر صفو المياه الراكدة، وسيُشكل دائرة في البقعة التي سقط فيها وبلمح البصر، ستتسع تلك الدائرة، وتُشكل دائرة إثر دائرة، وسرعان ما تتوسع المُويجات التي أحدثت صوت سقوط الحجر حتى تظهر على سطح الماء، الذي يُشبه المرأة، ولن تتوقف هذه الدائرة وتتلاشى، إلا عندما تبلغ الدوائر الشاطئ، إذا ألقيتَ حجرًا في النهر، فإن النهر سيعتبره مجرد حركةٍ أخرى من الفوضى في مجراه الصاخب المضطرب، لا شيء غير عادي، لا شيء لا يمكن السيطرة عليه، أما إذا سَقَطَ الحجر في بحيرة، فلن تعود البحيرة ذاتها مرة أخرى".

إليف شافاق

قواعد العشق الأربعون

هكذا كانت حياة عمر، كالبُحيرة.

ღღღ

12 ديسمبر 2015

ألقى عمر نظرة على ساعة الحائط، فوجدها الواحدة والربع صباحًا، نظر للتذكرة التي بحوزته نظرة حُزنٍ، فكَّر قليلًا ثم اتخذ القرار أن يعطي أحدًا إياها.

ثم فتح الـــ FACEBOOK الخاص به، وكَتَبَ بخانة البحث

(إيفنت حفلة هشام الجخ)

وكَتَبَ دون تردُّد:

(السلام عليكم يا شباب، أنا معايا تذكرة حفلة هشام الجخ، ولظروف ما عندي مش هقدر أحضرها فلو حد عايزها يكلمني.)

لم تمر ثانيتان إلا وقد تلونت دائرة الإشعارات باللون الأحمر، تعليق من (BROKEN HEART) وبه كلمتان فقط: (أيوه أنا).

بعدها بثوانٍ قليلة وَجَدَ أن (BROKEN HEART) قد أرسل له رسالة، كان يغالبه النوم، لكنه على أية حال فَتَحَها..

- السلام عليكم أستاذ عمر.

- وعليكم السلام.

– أنا آسفة على الإزعاج، بس هو حضرتك كنت كاتب على التذكرة لحفلة هشام الجخ، يا ترى هي لسه مع حضرتك ولا؟

– آسفة! هو حضرتك بنت؟

– أه فيه مشكلة ولا حاجة؟

– لا والله مش قصدي، بس اسم الأكاونت مش موضح إذا كان اللي بيكلمني ولد ولا بنت، عامة أه التذكرة لسه معايا.

– طيب هاخدها من حضرتك فين وسعرها كام؟

شَرَدَ ذِهنُه قليلًا، كيف سيتعامل مع هذا الأمر؟ نَظَرَ إلى والدته التي ترقد على السرير المجاور له، وجد أنه لا يستطيع النوم في غرفة أخرى، فكيف إذًا سيغادر المنزل؟!

هنا فقط تذكَّر كلام الدكتور المُشرف على حالتها:

(بص يا أستاذ عمر الكام يوم اللي جايين دول، هما اللي هيحددوا حالة والدتك هتستقر على إيه وخصوصًا بعد العملية، فياريت العناية الكاملة ليها وما تعرضوهاش لأي ضغط نفسي وعصبي) .

– أستاذ عمر!

قطعت الرسالة الأخيرة تفكيره، ولكنه همّ بالكتابة مرة أخرى:

– أيوه مع حضرتك، بصي السعر هيبقى نفس السعر بتاع التذكرة الأصلي، لكن المكان أنا ظروفي معلش مش هتسمح، إلا بمكان قريب من بيتي نظرًا لظروف عندي، شارع النبي دانيال قريب منك؟

- نفس السعر، غريبة! وعلى فكرة أه المكان مناسب.

- إيه اللي غريب في كده؟

- أصل يعني أغلب الناس بتبيعها بسعر أعلى من اللي هي شارياه بيه، سوق سودا يعني.

- لا حضرتك فاهمة غلط، أنا لولا الظروف ماكنتش فرطت في حفلة لهشام الجخ أبدًا، وفي نفس الوقت أنا عارف أن فيه ناس محتاجة التذكرة قوي، علشان كده في ظروفي دي مصمم إنّي أبيعها لحد محتاجها زيي كده.

- اممممممم أنا آسفة لو اتدخلت، طيب هاخدها من حضرتك إمتى؟

- بعد بكرة الساعة 2 الظهر مناسب معاكي؟

- أه تمام مناسب جدًّا، طيب آخر سؤال أنا هعرفك إزاي؟

- أنا هغير صورة البروفايل دلوقتي وأحط صورتي.

- متشكرة جدًّا.

14 ديسمبر 2015

2:10 ظهرًا

تشعر بأنّ المارة ينظرون إليها، دون أن تدري ما السبب؟

يبدو أنّ انتظارها في الشارع لن يُجدي نفعًا، الوقت يتأخر، وهذا الرجل الغامضة أحواله قد لا يأتي من الأساس، تُضايقها قليلًا نظرات الرجال حولها والتي تجهل أسبابها، لم تكن تدري أن عينيها الساحرتين هما السبب، كانت تمتلك قدرًا من الجمال كفيلًا بأن يفتن أي رجل.

توترت وبدأت تنظر لساعتها اليدوية، تمر الدقائق ولم يأتِ عمر.

أخرجت هاتفها ثم فتحت نافذة المحادثة بينهما، لم تجد صورته الشخصية موجودة، دقّقت النظر أكثر، فوجدته قد أغلق حسابه على (facebook) نهائيًا، بدأت تشعر بأنه لن يأتي.

مضتْ دقائق قليلة أخرى، تأكدت أنه لن يأتي، فقررت الرحيل، ما لبث أن وضعت هاتفها في حقيبتها وبدأت بالرحيل، حتى وجدت شابًّا يسير نحوها يرتدي قُبعة سوداء، تُغطي شعره الناعم ذا اللون البُني، ذا لحيةٍ كبيرة نسبيًّا تضيف له وسامةً في وجهه، متوسط الطول، يدنو منها، ولا تدري إذا ما كان هو عمر أم لا!

حتى اقترب منها تمامًا، فتأكدت أنّه هو صاحب التذكرة التي حدثته، لم يكن عمر نائمًا بالقدر الكافي، بل إنّه لم يستطع حينها التمييز هل هي أم لا، أمتار قليلة كانت بينهما كافية بأن تبتسم له ابتسامة خفيفة، تعني أنّها مَنْ يبحث عنها.

–حضرتك صاحبة أكاونت BROKEN HEART صح؟

قالها عمر في تردد فأجابته الفتاة:

–آه أنا.

– أنا آسف على التأخير، بس أنا فعلًا ظروفي صعبة شوية، وأكيد باين عليَّ يعني.

قالها عمر ناظرًا إلى الأرض، ثم نَظَرَ إلى عينيها مباشرةً وأكمل:

– عامة اتفضلي التذكرة أهيه، وبتمنالك حفلة سعيدة.

شعرت على غير عادتها بأن شيئًا غريبًا يحدث لها، للحظاتٍ لم تستطع الرد، سرت قُشعريرة في جسدها، ثم استجمعت قواها ونطقتْ:

– لا ولا يهمك أنا اللي آسفة لو عطلتك، اتفضل الفلوس.

نظر إليها في تردُّد، وأكمل:

– بس هو أنا ممكن أطلب منك طلب يا...؟ هو اسم حضرتك إيه الأول بس؟

ابتسمت كالأطفال حين تُداعِبهم، وردت:

- سارة، اسمي سارة.

لم يدرِ ماذا يحدث له، هو لا يحب النظر كثيرًا في أعين الناس، بل إنه غير قادر على النظر أكثر من ثلاث ثوانٍ في عين مَن يحدثه، ولكن عينيها مختلفتان.

ظلّ ينظر إليها، ثمّ أكمل في جديةٍ:

- بصي أنا والدتي هتعمل عملية كبيرة قوي، كمان أربعة أيام والحفلة كمان ست أيام، فأنا يعني من غير ما تفهميني غلط، كنت بطلب لو والدتي عملية العملية وقامت بالسلامة إني أسترد التذكرة منك، لأنك مش عارفة أنا بحب الشعر وهشام الجخ قد إيه، ولو لا قدر الله حصل حاجة فأحضري الحفلة أنتِ.

صمت قليلًا لشعوره بالإحراج، ثم أكمل حديثه قائلًا:

- أنا عارف أنك ممكن تشوفيني استغلالي، وتفهميني غلط، بس أنا فعلًا لولا الظروف مكنتش فرطت فيها.

فردَّت باسمة كعادتها:

- لا صدقني مش فاهماك غلط، وألف سلامة على مامتك بجد، ولو قامت بالسلامة إن شاء الله تقدر تكلمني تاخدها تاني.

شكَرَها على موقفها معه، ثم مضى كُلٌّ منهما في طريقه.

ღღღ

19 ديسمبر 2015

2:00 صباحًا

نظرت في ساعتها، الوقت المعتاد التي تتحدث فيه لصديقتها مي، أمسكت هاتفها وأرسلت:

- مي انتي صاحية ولا نمتي.

مرتْ ثوانٍ قليلة حتى ردّت "مي":

- نقول مبروك بقى وخلاص، هتحضري الحفلة معايا بكرة، أهو مكلمكيش لحد دلوقتي، يعني حلال عليكِي التذكرة.

- بصي أنا شايفاه لسه قافل الأكونت بتاعه، أنا كده بدأت أقلق.

- هههه تقلقي! لا استني بقى كده، وفهميني فيه إيه، أنا ابتديت أتوغوش عليكِ.

صمتتْ قليلًا، لا تدري إذا ما كان هذا القلق طبيعيًّا أم لا، لكنها تُدرك جيدًا، أنّ مي تفهمها أكثر من نفسها، فأكملت كاتبة:

- يا بنتي ما بهزرش أنتِ أصلك ما شوفتهوش وهو بيديني التذكرة كانت عينه عاملة إزاي، وحرصه إنّي أقابله في المكان ده بيدل أن فعلًا والدته تعبانة جدًّا.

- طيب وإحنا ما لنا يا بنتي، هو مجرد سلمك التذكرة وأنتِ اشتريتيها، يبقى لو فتحتي كلام بره الموضوع ده هيفهمك غلط، وأنتِ مش ناقصة، فاهماني؟

ظهرت على وجهها الحيرة أكثر، لم تشعر بهذا من قبل، قلبها يريد السؤال وعقلها يرفض، الواقع والعادات والتقاليد لن تسمح بذلك:

- يا بنتي أنتِ فين؟

قطعت هذه الرسالة تفكيرها فأكملت:

- بس كده مش قلة ذوق إني حتى ما سألش على والدته، أنا بجد محتارة.

- سارة مالك! أنا شايفة إن ده الطبيعي، وبعدين أصلًا هو قافل الأكونت يعني مفيش أي وسيلة اتصال بينكم.

هناك الكثير لكي يُقال، ولكنّها تصمت، لأول مرة تشعر بأنها مهما تُحاول هذه المرة فقط، أن تصف ما بداخلها فلن تفهمها صديقتها.

اكتفتْ بالصمت اللعين، وأبدلت موضوع الحديث:

- بكرة معادنا في الحفلة بقى يا "مي" متتأخريش أنا خلاص جاية.

أنهتْ حديثها، ولكن لم ينتهْ بعد!

هناك الكثير ليُقال قبل النوم، فقط عندما تصطدم رأسك بالوسادة، العالم الأكثر قسوة، تربط فيه بين ماضيك ومستقبلك الذي تراه معدوم الملامح.

أنا خائفة، ولكن لن أضْعُفَ، لن أسمح لهذا العالم أن يُسيطر عليَّ مجددًا، فقط للحظاتٍ شعرت بأنها قوية، وارتسمت على وجهها علامات الانتصار، لن أضْعُفَ مُجدَّدًا!

ღღღ

21 نوفمبر 2013

رنّ هاتفه فنظر إليه وصاح مُبتسمًا:

- إيه يا عم أحمد أنت فين وإيه الدوشة اللي جنبك دي؟

(happy birth day to you... happy birth day to you)

حاول أحمد الردّ لكن دون جدوى..

(happy birthday to you... happy birth day to you)

ابتعد قليلًا عن مصدر الصوت، ثمّ أكمل بصوتٍ عالٍ:

- ها سامعني كده يا عمر؟

- أيوه سامعك فيه إيه، أنت فين؟

- أنا في عيد ميلاد سما يا بني، أنت إزاي نسيت الميعاد ده؟

- أيوه يعني فيها إيه.

- قالها عمر بلا مبالاة ثم أكمل:

- أنت عارفني إني مش بحب الدوشة والزيطة، وكمان انت ناسى إن عندنا امتحان بكرة وما ذاكرتش حاجة، فبلاش أجي هيبقى دمي تقيل.

نظر أحمد حوله، كي يتأكد بأنه لا أحد يراه، ثم أكمل بصوتٍ منخفض:

- يا ابنى والله من ساعة ما جينا عيد الميلاد، وسما ما بتسألش إلا عليك. وإن كان على الامتحان فانت عارف احنا بتوع اللحظات الأخيرة، هنظبط المادة في ساعتين، تعالى بقى ما تبقاش رخم.

صمت عمر قليلًا، ثم أكمل:

- خلاص أنا جاي، بس أوعى تسيبني لوحدي أنت فاهم.

ღღღ

عشر دقائق كانت كافية بأن يصل عمر للمكان، وهناك استقبله زملاؤه في الجامعة بكل فرح، فقد كان محبوبًا جدًّا، ولكن كان هناك شخص سعادته لا تُقارن بأحد من بين الحاضرين، ابتسمت سما ابتسامة شعر الجميع حينها، بأنّ الاحتفال بدأ لتوِّه فقط عندما أتى (عمر).

- أهو الكئيب وصل أهو.

قالها أحمد ضاحكًا، فانفجر من حوله كل الحاضرين من الضحك، هو لا يحب المناسبات ولا يعرف ماذا يقول فيها، بل إنه لا يحب المجاملات، وتلك الجمل المعتادة يكرهها بشدة.

وقعت عيناه على الهدايا الكثيرة التي بالغرفة، فتذكّر بأنه حتى لم يشترِ لها هدية مثل الآخرين، شعر بالحرج ونَظَرَ إلى سما وقال:

- كل سنة وأنتِ طيبة، أنا آسف لو....

- قاطعته مبتسمة:

- ولا يهمك، أنا عارفة انك مش بتحب الدوْشة والحفلات، بس كفاية عندي أنك جيت.

احمرَّ وجهها من الخجل، فأكملت في ارتباك:

- وبعدين لو ما كنتش هتيجي، أمال مين اللي هيغنيلي في عيد ميلادي بقى؟

صاح الجميع على هذا الطلب بالموافقة، فقد كان صوته ساحرًا، شعر بالخجل مُجددًا، ولكن لن يستطيع أن يرفض هذا الطلب، على الأقل فهذه هديته لها، نظراتها لا تتوقف عن مُراقبتِه، حتى في أبسط تصرفاته، إلى متى سيتجاهلها!

ღღღ

(كلموني تاني عنك، فكروني، فكروني، صحو نار الشوق في قلبي وفي عيوني)

تعشق سارة هذه الأغنية، فقد اعتادت أن تسمعها في هذا الوقت من كل يوم لكن هذه المرة غير!

قلبها يتراقص وما بداخلها يتحرك، نظرت إلى نافذة المحادثة مجددًا، عسى أن يكون هناك جديد.

خَفَقَ قلبُها بشدة هذه المرة، عندما وجدت أنه قد عاد ليستخدم (facebook) مجددًا، نظرت إلى صورته الشخصية التي كانت سوداء

فوقها عبارة (البقاء لله)، فاتسعت عيناها من الخوف، يبدو أن ما تخشاه قد حَدَثَ، سرحت قليلًا ثم اتصلت بمي، وقالت في فزعٍ:

- مش قولتلك فيه حاجة عنده، أهو حاطط صورة سودا مكتوبة عليها البقاء الله.

ساد الصمت في المكالمة، حتى قطعته سارة بعصبية:

- يا بنتي ردي عليَّ، أنا محتارة مش عارفة أعمل إيه.

حاولت "مي" أن تستفيق من النوم وتجمع كلماتها، فقالت بصوتٍ هادئ:

- يا بنتي اهدي بس يعني إنتي في إيدك إيه تعمليه؟!

- مش عارفة، بس على الأقل كنت أكلمه وأعزيه، لو فعلًا حصل حاجة عنده لا قدر الله.

صمتت "مي" قليلًا، ثم أكملت قائلة:

- لو عايزة نصيحتي بلاش تكلميه، أنتِ فعلًا مش ناقصة حد يفهمك غلط.

عاجزة عن التعبير عما يدور بداخلها، أغلقت المكالمة وهي لم تقرر ماذا ستفعل.

لم تمرْ ثوانٍ قليلة حتى فتحت (messenger) مجددًا، وكتبت (السلام عليكم).

مرّت الدقائق عليها كالساعات، تنظر بين كل دقيقة والأخرى إلى هاتفها، عسى أن يكون قد رَدَّ، هي حقًا لا تعرف كيف فعلت ذلك!

(وابتدا قلبي يدوبني بأهاته، وابتدا الليل يبقى أطول من ساعاته، واسهر أسمع نبض قلبي بيناديلك)

ظهرت رسالة على هاتفها، فدقّ قلبها حتى شعرت بأنه سينفجر، فتحت الرسالة بشغفٍ كبير:

– وعليكم السلام أستاذة سارة إزيك.

– أنا كويسة الحمد لله، أنا أسفة لو بزعجك، بس أنا كنت حابة أتطمن على والدتك وخصوصًا إني شايفة صورة سودا على أكونت حضرتك.

– لا خالص ما فيش إزعاج ولا حاجة، والدتي توفت من أسبوع ربنا يرحمها، ما استحملتش العملية، متشكر جدًّا على سؤالك.

– لا إله إلا الله، البقاء لله يا أستاذ عمر، طيب أنا لو مضايقاك ممكن أقفل.

– لا أكيد مش متضايق منك بالعكس، وأنا مؤمن بقضاء ربنا يعني ومتأكد أن أمي في مكان أفضل دلوقتي، أنا بس اللي مستغرب له إن لسه فيه خير في الدنيا دي، وإن لسه فيه ناس بتسأل عن ناس ما تعرفهاش، حتى لمجرد يتطمنوا عليهم من غير أي مصلحة، اعذريني بس أنتِ حاجة نادرة.

ابتسمت، حتى أنها قرأت الرسالة خمس مرات من شدة فرحتها، قطعت تفكيرها رسالة أخرى منه:

- أوعى أكون أحرجتك، أنا بس متعود على الصراحة.

- أنا مش متضايقة بالعكس، أنا أصلًا كنت خايفة تفهم سؤالي عليك غلط، بس أنا لما شوفت حضرتك يوم ما إديتني التذكرة، حسيتك حد محترم وخلوق، وبصراحة ده اللي شجعني أسأل على والدة حضرتك الله يرحمها.

- حضرتك حضرتك! على فكرة أنا مش كبير، أنا عندي **24** سنة بس يمكن أنتِ شوفتيني في ظروف كبرتني شوية.

- أها أنا حسيت برده، ربنا يقويك على اللي أنت فيه.

ساد الصمت قليلًا، شعرت بخوف بأن ينتهي الحوار، فكتبت مسرعة:

- هو أنت بتحب هشام الجخ للدرجة دي؟

(ماذا فعلت بسؤالي هذا؟! أنا حقًّا مجنونة).

ألْقَت اللوم على نفسها بعد أن حاولت فتح طريق جديد للمحادثة بينهما، تمنت أنه لو بإمكانها مسح هذه الرسالة، ولكن بالطبع لن يفلح ذلك. (بالتأكيد سيتفهم أنني أتعمد ذلك، يا لغبائي!)

أما هو فلم يشعر قط بأنّها تفتح طريقًا للحوار بينهما، بل إنه همّ بالرد:

- الفكرة عندي مش في هشام الجخ بس رغم إني بحبه جدًّا، بس أنا بحب الشعر لدرجة ما تتخيليهاش، لأني باستخدمه كتير في كتاباتي، علشان أنا مدرس لغة عربية لسه متخرج من سنة، فبزود حصيلتي اللغوية.

اندهشت من المفاجأة وزاد فضولها نحو كتاباته، هي تثق بأن العينين اللتين رأتهما تُخبّئان الكثير، ولا يظهر ذلك إلا بين السطور، ولكنها تمالكت نفسها ولم تُظهر فضولها الذي سيقتُلها إلا في كلمتين قد أرسلتهما:

- أنت بتكتب!

- أه بكتب في أول رواية ليَّ، بقالي سنة ولسه ما خلصتهاش.

زاد فضولها، فردتْ مجددًا في سرعة:

- ليه بس!

ساد الصمت، سرح بخياله لثوانٍ قليلة، ثم أكمل:

- زهقت من العالم الافتراضي اللي أنا بتخيله وعايش فيه.

- مش فاهمة!

شعرت بإحراجٍ شديد، كيف لها أن تتدخل في أموره بهذه الطريقة، (كم أنا غبية!)

أكملت كاتبةً:

- أنا آسفة لو بتدخل في أمورك، بس أنا أتضايقت علشانك صدقني.

شعر أنه قد أحرجها، هو فقط لا يعرف أن يُجمِّل الكلام، كل ما يحسه ويشعر به يكتبه، لعلّ هذا هو سبب أنه لا يكمل كتاباته، ولكن كان بداخله فضول كبير نحوها، منذ أن رآها وهو يريد أن يسبح في عينيها، اللتين بهما أسرار أثارت فضوله، فكتب مجددًا:

- أنا اللي آسف لو ضايقتك إني مش قادر احكي دلوقتي، اعذريني أعصابي بايظة خالصة اليومين دول، بس أوعدك إني أحكيلك أكيد لما تحين الفرصة بما أننا خلاص بقينا أصحاب، صح ولا إيه؟

قرأت رسالته بسعادة، لعلّها وجدت جسرًا إلى قلبه، إنها الصداقة.

- أكيد طبعًا شرف ليّا أننا نبقى أصدقاء، وبما إني كاتبة صحفية فأكيد هستفاد منك كتير جدًّا، هستغلك يعني.

لم يندهش لكونها كاتبة صحفية، فلا يهتم بحفلات الشعر والكتابة، إلا من هم عاشقون وممارسون للفن بصفة عامة.

- سلطة رابعة يعني.

ابتسمت سارة حين رأت الرسالة، فأكملت:

- بالظبط كده خلي بالك على نفسك بقى هههههههههه.

لم يشعرا بالوقت فقد مرت ساعات ليست بالقليلة، حتى صباح اليوم التالي على غير عادته يتكلم على (Facebook) لساعات! هو يكرهه بشدة، يشعر بأن جميع وسائل التكنولوجيا لعنة أصابت علاقاتنا الاجتماعية.

ولكن هذه المرة غير ما فات كله!

ماذا يحدث لك! هل هذا طبيعي؟

رنّ هاتفه فاتسعت عيناه من الدهشة، كيف لي أن أفعل كل هذا، وكيف لي أن أنسى وأغفل عن هذا الأمر؟

ღღღ

بعد أن انتهى من أغنيته، صفق زملاؤه بحرارة، فابتسم لهم عمر مستأذنًا أن يرد على هاتفه، اختفى عن أعينهم تدريجيًا، وهي تراقبه بشغفٍ ولهفة، سما كانت تشعر بأنها حُجة ليبتعد قليلًا عن الضوضاء، كانت تعرفه أكثر من نفسه ثلاث سنوات كانت كافية، بأن تدرك وتتأكد من مشاعرها ناحيته، أنها لا تحبه فقط بل تعشقه، انشغلت قليلًا وسط الحضور، متبادلة معهم ابتسامات يصحبها بعض القلق، هي ليست على ما يرام، تشعر بأنه ينقصها شيء، حركت عينيها يمينًا ويسارًا بحثًا عنه، حتى وجدته في نهاية الشُّرفة شاردًا يستند على سور حديدي، استأذنت من الحضور، وذهبت في خطواتٍ مسرعة خلفه، لا تُبالي أن يلاحظها أحد.

- عمر.

قالتها سما بصوتٍ رقيق، يتناسب جدًّا مع وجهها الرقيق المبتسم من شدة السعادة، كانت ترتدي فستانًا أزرق قد أضاف إليها جمالًا وأناقة، استدار إليها عمر في اهتمام، فأكملت:

- إيه مالك سرحان في إيه؟ وواقف هنا لوحدك ليه؟

ابتسم عمر لها ابتسامة جعلت قلبها يرقص، تتمنى أن يتوقف الزمن في هذه اللحظة.

- لا أبدًا ما فيش.

قالها عمر ثم أدار وجهه إلى ناحية البحر، وأكمل:

- بس عجبني قوي منظر البحر بالليل، مش عارف ليه ما بحبش أشوفه بالنهار، يمكن علشان بحسه كئيب زيي.

وجّه رأسه إليها مجددًا، وأكمل:

- ألا قوليلي صحيح هو أنا كئيب؟ أصل أنا بحس كتير قوي الإحساس ده.

ابتسمت وأدارت وجهها هي الأخرى ناحية البحر، واستندت إلى السور تمامًا كما يفعل، وأكملت قائلة:

- بتحس كتير! لا أنت لازم تكون متأكد من ده على فكرة.

ضحك دون أن ينظر إليها، فأكملت مجددًا:

- سمعت حاجة كده زمان بابا قالها لي وأنا صغيرة، أن اللي بيبص للبحر بالليل بيزود اللون الأسود عليه كآبة وحزن، يعني لو أنت مخنوق وزعلان، ما تجيش تتمشى على البحر بالليل، علشان هتتخنق أكتر، لكن بصراحة أول مرة أحس أن الكلام ده مش صح، بدليل أن أنا فرحانة قوي دلوقتي.

فهم ما ترمي إليه جيدًا، ولكنه اصطنع التجاهل متسائلًا:

- هو صحيح باباكِ هيرجع إمتى من السفر؟

- ما أعرفش! بس كل اللي بيقولهولي أنه حاجزلي وظيفتي بعد ما أخلص السنة اللي فاضلة في الكلية المنيلة بتاعتنا، وأنه هيبعتلي أسافر اقعد معاه على طول.

ثم نظرت إليه باهتمام كمن تذكّر شيئًا:

- أه صح، أنت ناوي تعمل إيه بعد ما نتخرج؟

- أكيد هدور على شغل.

- طيب بص بابا ليه علاقات كتير هنا في مصر، هكلمه وأنا واثقة أنه حيساعدك تلاقي وظيفتك في أي مدرسة حكومي كويسة، ما أنت عارف بلدنا ما بتمشيش إلا بالكوسة والوسايط.

ابتسم عمر لها معبرًا عن شكره، ولكن لفت أنظاره شابَّان قادمان إليهما يحملان عدة أطباق:

- عمر، عمر، الحق وليد عايز ياكل الطبق بتاعك.

قالها أحمد ذلك الشاب السمين، الذي تظهر على وجهه علامات الطيبة والبشاشة، ثم أكمل مجددًا:

- خد بقى الطبقين دول واحد كريمة والتانية شوكولاته، أختار أنت منهم.

أسرع وليد يمسك بالطبقين ويجذبهما نحوه، لم تكن لدى أحمد إلا تلقائية في رد فعله فأخذ يجذبهما هو الآخر نحوه، ظلّا هكذا يجذب كلٌّ منهما الطبقين نحوه، حتى وقع الطبقان على الأرض.

هنا نظر سما وعمر أحدهما إلى الآخر في دهشة، ثم نظرا إلى أحمد الذي انفجر في الضحك بكل عفوية، حتى سقط على الأرض وانفجر كل من حوله أيضًا من الضحك.

أنه يحبه حقًا، صديقه الصدوق الذي يشعر دائمًا، بأنه أبوه الذي لا يغفل عنه ثانية.

نظراتها لا تتوقف عن مراقبته حتى في أبسط تصرفاته، إلى متى سيتجاهلها!

ღღღ

نظر إلى هاتفه مندهشًا، كيف لم يلحظْ مرور الوقت، وكيف له أن ينسى موعد سفر سما، لم تتبقَّ إلا ساعتان فقط على ميعاد الطائرة، فهمّ بالردّ مسرعًا:

– حبيبي عامل إيه وحشتني.

قالتها سما بشغفٍ، مزقت ما بداخل عمر، هو حقًا يشعر بالذنب، فلم يجد إلا الصمت فقاطعت هي صمته، وأكملت:

– إيه مش عايز ترد عليّ ليه؟ شكلك زعلان منى، كل ده علشان أتأخرت عليك شوية وما كلمتكش، والله غصب عني كنت بجهز الشنط.

- لا يا سما مش زعلان منك أكيد، أنا كنت لسه هكلمك على فكرة.

قالها ثم انتفض من جلسته، وأكمل مجددًا:

- أنتِ خلاص برده مسافرة!

- يا حبيبي أعمل إيه بس، بابا مصمم إني أسافر وأشتغل جنبه هناك، بقاله أكتر من سنة أهو بيزن عليَّ، وبعدين كلها شهرين وهاخد إجازة وأرجع، وغالبا هيبقى معايا بابا، يعني تقدر تفاتحه في موضوعنا إن شاء الله.

صمت لثوانٍ قليلة ثم أكمل:

- طيب مش هقدر حتى أشوفك وأسلم عليكي قبل ما تسافري؟

لم ترد، حاولت أن تتماسك، ولكنها انفجرت في البكاء كالأطفال، تشعر بأن العالم يضيق بها، هي لا تريد شيئًا غيره، سنة كاملة منذ أن ارتبطا جعلتها تشعر بأنها امتلكت الدنيا وما فيها، استجمعت ما تبقى منها، وأكملت بصوتٍ ضعيف:

- والله أكتر حاجة قهراني إني مش قادرة أشوفك قبل ما أسافر، خالي معايا هنا وللأسف مش هيسيبني لغاية ما أركب الطيارة.

جلس مجددًا على الأريكة، ثم نظر إلى الأعلى، شعر براحة نسبية من عذاب الضمير، فقاطعته مجددًا:

- بس صدقني طول ما أنا هناك، هحاول أبقى على اتصال معاك على طول، ولو ما عرفتش هناك ما تزعلش مني، لأني ما أقدرش أعيش من غيرك، أنت أكيد حاسس بيا.

- أكيد حاسس بيكي، أوعديني أنك تاخدي بالك من نفسك.

- أكيد حاضر وأنت كمان، لا إله إلا الله.

- محمد رسول الله.

ღღღ

شعر بضيقٍ بعد أن أنهى المكالمة، لا يدري ماذا يفعل في إحساسه المتناقض، بعد الظهور المفاجئ لهذه الفتاة في حياته، نظر إلى الساعة الموجودة على الحائط فوجدها الرابعة صباحًا، أمسك هاتفه مجددًا في سرعة، ثم اتصل بصديقه الذي كان متأكدًا أنه غارق في النوم، ولكنه لا يُبالي، لا يبالي على الإطلاق لا يردُ أحدٌ، كرَّر هذه المحاولة عشرات المرات حتى ردّ صاحبه:

- أيوه، أيوه، عمر! فيه حاجة ولا إيه؟

قالها أحمد بصوت استطاع عمر بصعوبةٍ أن يفهمه:

- أحمد أنا عايز أشوفك دلوقتي، البس وقابلني هستناك في المكان بتاعنا عند كامب شيزار.

نهض أحمد من نومه محاولًا استيعاب الموقف نظر إلى الساعة ثم أكمل:

- دلوقتي يا عمر! ده إحنا الفجر يا ابني، مالك فيه إيه؟

لم يُبالِ عمر بما يقوله أحمد، أنهى ارتداء حذائه ثم أغلق الباب خلفه، وأكمل بعصبية:

- بقولك هستناك، سلام.

ღღღ

جلس على مكانه المفضل، وأعطى المارةَ ظَهْرَه والسيارات التي كانت قليلة في هذا الوقت المتأخر، لم يُبالِ بالصقيع، بل لم يلحظْ أنه يرتدي ثيابًا خفيفة للغاية، مرت دقائق حتى نظر إلى جانبه، ذلك الشاب السمين قادم من بعيد، نظر أمامه مجددًا بنظراتٍ خالية من أي تفكير:

- فيه إيه يا عمر، جبتني على ملى وشي ليه؟ قلقتني عليك، اتكلم.

قالها أحمد بصوتٍ يصحبه القلق، فنظر له عمر دون أن يتكلم، وأشار إليه بالجلوس، جلس الفتى السمين بصعوبة بعد أن قفز على السور، ثم أكمل مجددًا:

- مالك يا صاحبي؟ موضوع وفاة والدتك هو اللي مأثر عليك صح؟

لم يتفوه عمر بأي كلمة، بل تسمرت ملامحه دون أن ينظر إليه، ساد الصمت لثوان قليلة، فنظر لأحمد وقال بحزن:

- أنا مش قادر أكدب أكتر من كده، أنا هسيب سما.

تبدَّلت ملامح أحمد، لم يكن يتوقع بأن هذا سيحدث يومًا ما، لكنه عاد مجددًا ليسأله:

- تسيبها إزاي يعني؟ يا ابني دي بتموت فيك، إيه اللي حصل بس؟

النهاردة اتاكدت إني مش حاسس حاجة ناحيتها، بقالي سنة بدي لنفسي فرصة، أني أفتح قلبي ليها لكني مش قادر أحبها فعلًا، وفي نفس الوقت أنا....

قاطعه أحمد مستنكرًا:

- طيب أنت نسيت هي عملت معاك إيه؟ أنا طول عمري بسمع وبشوف قصص في الأفلام وغيره، لكن صدقني أنا عمري ما لقيت حد بيحب قوي كده، زي ما سما بتحبك.

كانت كلماته كخنجرٍ مسنون يقطع في جسده فنظر إلى الأرض وأكمل:

- أنا عارف أنها بتحبني من أول سنة في الكلية، وعارف كمان أنها ساعدتني كتير ألاقي وظيفتي بعد ما أتخرجت، وعارف إنها وقفت جنبي كتير قوي وخصوصًا لما والدتي أتوفت، لكن هو أنا فين من كل ده!

نظر لصديقه الذي ظهرت على وجهه علامات الشفقة، وأكمل مجددًا:

- هو أنا ماليش حق إني أحب، ارتبطت بيها بعد التخرج على طول، وقلت أصبر يمكن أقدر أحس حاجة ناحيتها.

نظر أمامه مجددًا ثم أكمل في سخرية:

- سنة كاملة عدت علينا وكل يوم بقول نفس الكلام، بحبك، وحشتيني، ما أقدرش أعيش من غيرك.

تدفقت دموعه لكنه لم يُبالِ بكبحها أمام صديق عمره، فأكمل:

- يا أحمد الكلام ده بقى عادة في لساني معاها، لكنى مش حاسس أي حاجة ناحيتها، وأكبر دليل على كده أنى كل شوية بقول الكلام ده، أنا لو بحبها مش هقدر أقول الكلام ده كل ثانية، وفي نفس الوقت لو ماقولتهوش هجرحها وأحسسها أنى مش مهتم بيها، لكن أنا حاسس بالذنب، ومش هقدر أكمل كدب أكتر من كده.

- طيب ووعدك ليها بالجواز؟

- أنا لما أقولها إن مافيش نصيب دلوقتي، أحسن لما تحصل حاجة قدام، اللي منعني النهاردة أقولها الكلام ده أنها مسافرة، خفت يحصلها حاجة.

- أوعى يا عمر تقولها حاجة، سيبها لما ترجع من السفر، على الأقل خد الشهرين تلاتة دول فكر فيهم كويس، واحكم على مشاعرك.

- طيب ولو كلمتني، أعمل إيه!

- ما تردش أو أقفل موبايلك لغاية ما تفكر كويس.

صمت عمر صمتًا يعبر عن راحته نوعًا ما، نظر أحمد لنفسه ثم ضحك ساخرًا من نفسه:

- شوفت خليتني أنزل أقابلك بالترنج، وبشبشب بصباع، منك لله يا ابن الحاج سامي.

ضحك عمر من قلبه، دائمًا ما تروقه تلقائية أحمد التي من النادر أن تجدها في شخص.

تبدلت ملامح وجه أحمد فجأة، فرفع حاجبيه في تساؤل وفضول:

- ألّا قولي يا عمر، أنت مخبي عليَّ حاجة، صح؟

- ليه بتقول كده بس!

- مش عارف، بس التوقيت اللي اخترته تقول فيه لسما الكلام ده غريب شوية، فيه حاجة صح؟

فهمه كالعادة من عينيه فقط، حاول أن يُخفي ما يحدث معه، لكن الارتباك والقلق ظهرا على وجهه، استجمعَ كلماته وقرَّر أن يحكي لصديقه الذي يعرف كل شيء عنه، وأكمل قائلًا:

- بص يا أحمد كل الحكاية أن....

قاطعه هذه المرة رنةُ هاتف أحمد، نظر برعبٍ لهاتفه ثم نظر لعمر، وهتف قائلًا:

- أبويا صحي الله يخرب بيتك، أنا اتسحبت من وراه علشان ما يشوفنيش، أرد وأقوله إيه بس؟

- خلاص روح أنت، وبكرة أنا هكلمه وأفهمه.

- طيب ومش هتكمل كلامك.

تحرك عمر خطوتين للأمام، وأشار لصديقه بيده قائلًا:

- بكرة، بكرة.

ابتعد بمسافة ليست قليلة عن صديقه، أخرج هاتفه ثم فتح نافذة المحادثة بينه وبين BROKEN HEART ، فوقعت عيناه على رسالتين بينهما.

سلطة رابعة يعني.

- بالظبط كده خلّي بالك على نفسك بقى هههههههههه.

فضغط على مربع الكتابة وكتب مجددًا.

- معلش النت فصل عندي يا سارة، ها كنا بنقول إيه؟

تبلل قميصه ببعض القطرات، فنظر مبتسمًا للسماء التي أمطرت فجأة بغزارة، اكتملت سعادته الآن بهطول الأمطار، وضع هاتفه في بنطاله، وجرى بعشوائية، إنها الحرية، كم يعشق هذه اللحظات!

ღღღ

صعد بجسده السمين درجات السلم بحذر، عسى ألَّا يسمعه والده، وصل أمام باب شقته، فتح الباب ببطءٍ شديد، أدخل رأسه؛ كي يرى ما بداخل الشقة، اطمأنَّ لنوم والده، فأغلق الباب بحذرٍ شديد، واتجه نحو غرفته، لم يكن مصدقًا ما سمع، ألقى بجسده على السرير الموجود في زاوية الغرفة، حاول مئات المرات أن يستبعد هذه الأفكار التي تأتي بعقله بين الحين والآخر.

الكتابة، هي الصديق الوحيد في هذه الحالات، نظر بجانبه على المنضدة فوجد أوراقه، أمال جسده وسحبها نحوه، أسند ظهره للوراء، وكتب كل ما يخطر بباله:

(في اليوم الأغبر ده، عمر قاللي إنه مش هيقدر يكمل مع سما، أنا خايف يكون فهم أي حاجة من اللي جوايا، بس أنا عمري ما بينت حاجة،

عمري ما قولت إني بحب سما من أول ما شوفتها أو حتى لّمحت، أنا بعاملها كأنها أختي، وبكتم أي شعور جوايا، وبحاول على قد ما أقدر أخلق أي فرص ليهم، علشان يتكلموا، أنا خايف بجد، عمر صاحب عمري اللي ما أقدرش أستغنى عنه، وممكن أتنازل علشانه بأي حاجة، ما قداميش غير إني أدعيلها وأدعيله، أو أدعي لنفسي، يا رب أنساها).

وضع أوراقه على المنضدة مجددًا، يستعد للنوم هو الطريقة الوحيدة التي يوقف بها نيران شغفه، التي توشك أن تنهيه، فما أصعب أن تشتاق إلى ما هو ليس لك، بل الأصعب من ذلك التجاهل، يبدو أن الوضع سيظل هكذا، اذهب للنوم.

ღღღ

كان أكثر أصدقائه حُزنًا وكآبة، بل كان يشعر بأن تلك الحياة البائسة لا فائدة منها، هو الآن يشعر ولأول مرة بمعنى السعادة، ولا يريد لأحد أن يعكرها، لا يحمل في قلبه ذرة من ضيقٍ لشخص، يريد أن يتسامح مع كل الناس، لا يشعر بهذا إلا من يحب فقط.

– أنا هبتدي أكتب تاني يا سارة، من فترة كبيرة اوى محستش الإحساس ده.

– شفت بقى بنتكلم بقالنا أسبوع بس، وخليتك تكتب تاني، أنا برده ليا تأثيري.

اتسعت عيناه من الفرح عندما رأى الرسالة، فكر قليلًا لم يشعر قط أنه مرّ أسبوع على أول مرة تحدّثا فيها، أدرك أنه لا يشعر بالوقت معها، هناك شيء داخله يتحرك، شيء يدفعه للحياة، يدفعه لأن يسترجع نفسه التي فقدها، قطعت تفكيره رسالة أخرى.

- بس ليا طلب.

همّ بالكتابة سريعًا، وأرسل:

- إيه هو؟

- كل ما تكتب جزء تبعتهولي علشان أقولك رأيي، وبما إني كاتبة صحفية فهتنازل بقى وأقولك رأيي.

- هههههههههه اتفقنا خلاص.

يبدو أن علاقتهما تتطور، لم يتردد بأن يرسل لها طلب صداقة، فقبلته على الفور، الآن فقط أصبحا صديقين.

الصداقة هي الجسر الوحيد الذي يمكنك أن تصل من خلاله إلى قلب مَن تُحب.

♡♡♡

رغم أضواء باريس الساحرة التي تخطف الأنظار، شعرت بأنّها لا ترى شيئًا من دونه، لا شيء نهائيًّا، جالسة في حجرتها لم تفعل شيئًا، إلا النظر في صورة لها مع شخصٍ يبدو أن الابتسامة المرسومة على وجهها بجانبه، تشير بأنه هو كل تملك.

ابتسمت بشدة كتلك التي في الصورة،ضمّت الصورة إلى قلبها، نظرت إلى أعلى وأغمضت عينيها، أخذت نفسها بصعوبة، ثم نظرت إلى الصورة مجددًا، وهمست كأنّه بجانبها (وحشتني قوي يا عمر)، وضعت سما الصورة جانبًا، ثم أخذت تجهز نفسها للذهاب إلى العمل مع والدها.

❦❦❦

أسبوعان كفيلان بأن يتقرب منها قدر المستطاع، شعر أنه يولد من جديد.

تزيد عنده حرارة الاشتياق، بل أصبحت شغله الشاغل، يشركها معه في أموره، تشوّق إلى رؤية عينيها، ولكنه يتردد كثيرًا بأن يطلب هذا الطلب، لا يعلم رَدَّ فعلها، بل يخشى بمجرد أن يطلب منها ذلك أن تنهدم ثقتها به، يكتب ويمسح طلبه، يكتب ثم يمسحه مجددًا، أخذ نفسًا عميقًا ثم كتب مسرعًا:

- سارة أنا عايز أطلب منك طلب، بس لو ما ينفعش قولي وأنا مش هزعل، أنا بجد عايز أشوفك.

ضغط زر الإرسال، منتظرًا الردّ في قلق.

رأتْ رسالته لكن لم ترد، قلبها ينبض من السعادة والخوف معًا، لا تعلم ماذا تفعل أو ماذا تقول!

يتمنى ألا يكون قد طلب منها شيئًا غير مقبول، زادت دقات قلبه من القلق، فكتب مجددًا:

– يا رب ما تفهمنيش غلط، أنا مش قصدي حاجة، ولو ده هيزعلك اعتبري إني ما طلبتش منك الطلب ده.

– أفهمك غلط إزاي بس، مش إحنا أصحاب ولا إيه، خلاص يا سيدي موافقة.

كتبت تلك الكلمات مصطنعة التجاهل، لسبب طلبه الذي تعلمه جيدًا، واكتفت بها.

لا تستطيع أن تكتب أكثر من ذلك الآن، فعيناها وحدهما قادرتان أن تبوحا بكل شيء في هذا اللقاء المنتظر، قلبه كاد يتوقف من شدة الفرحة، بعد أن رأى رسالتها، همّ بالكتابة:

– صدقيني أنا عمري ما هخذلك، وبشكرك جدًّا على ثقتك فيّ، وأنك وافقتي.

هو طائر من الفرحة، هي خائفة.

الخوف كعادته يتملك منها، الأحداث السعيدة دائمًا تنتهي بكارثة فقط مع الوقت سيتضح كل شيء.

ღღღ

– يعني عايزة تفهميني أن أسبوعين فترة كافية أنك توافقي تقابليه؟

قالتها "مي" في صرامة وجدّ، ثم أكملت في هدوء:

– يا بنتي أنا خايفة عليكِي، أنتِي مش ناقصة أي صدمة في حياتك.

لم تُبالِ سارة لكلام صديقتها، فردت في ثقةٍ:

– على فكرة مش بالمدة اللي بنعرف بيها الناس، ياما ناس عارفينهم من سنين، وبيطلعو زبالة، وياما ناس بنقابلهم صدفة، وبيبقوا أجدع وأحسن مية مرّة من ناس عارفينهم بقالنا سنين.

صمتت قليلًا، ثم أكملت في هدوء:

– أنا عارفة والله إنك خايفة عليَّ، بس تأكدي إني مش هعمل حاجة غلط.

– أنتِ اتكلمتي معاه يا سارة في المشاكل اللي عندك؟

ساد الصمت في المكالمة لثوانٍ قليلة، ثوان جعلت سارة تتذكر شيئًا مؤلمًا حدث لها، شعرت بأن الدنيا تدور بها، حاولت أن تظل متماسكة، فاستجمعت كلماتها بصعوبة وقالت:

– لا أكيد.

– طيب قوليلي بقى هتتقابلوا فين، علشان أنق عليكم شوية.

قالتها "مي" ضاحكة محاولة أن تُغير الموضوع.

– سانتوس يوم الخميس الجاي.

– طيب هاجي معاكم كده.

مع أنغام الموسيقا الهادئة على طاولته المفضلة رقم 13، كان شاردًا في عالمٍ آخر، على غير عادته قد أتى قبل ميعاده بنصف ساعة تقريبًا، يترقب أن يرى عينيها اللتين زادتا فضوله أن يكتشف أسرارهما، هو طائر الآن بعد فترة حزينة وصعبة قد عاشها أثناء مرض والدته حتى وفاتها، تعجب من نفسه كثيرًا كيف أن حاله قد تبدل في هذه الفترة القصيرة.

ما بين الدقيقة وأخرى ينظر إلى ساعته، فقد دقّت الساعة الرابعة بالتمام حسب موعدهما المتفق عليه، إذ يلمح فتاة من ظهرها تمر من أمام النافذة الجالس بجانبها، لا يعلم إذا كانت هي أم لا، زادت ضربات قلبه، ظل يتبعها حتى وصلت عند الباب.

هي سارة بالفعل، قادمة نحوه بخُطًى بطيئة نوعًا ما، على وجهها ابتسامة مصحوبة بالخجل يقتله سحرها، ينظر حوله يمينًا ويسارًا خوفًا، من أن ينظر أحد لابتسامتها التي تأسر كل من يراها، أنه يغار من الآن، وصلت أمامه مباشرة، فزادت الابتسامة على وجهها، كمن يقول هذه لكَ فقط، قالت بصوت لا يكاد يسمعه من شدة الخجل:

– يا رب ماكونش أتأخرت، إزيك عامل إيه؟

لا يعلم من أين يبدأ الرد، لا يفعل شيئًا سوى النظر في عينيها مطولًا، أشار لها بالجلوس أمامه قائلًا:

– لا خالص أنتِ جاية في الميعاد، اتفضلي أقعدي.

ثم أكمل مازحًا مشيرًا لرقم الطاولة التي يجلس عليها:

- شوفي الناس كلها بتتشائم من الرقم ده إلا أنا، بتفائل بيه دايمًا، وما بقعدش إلا على الترابيزة دي بقالي بتاع ست سنين كده.

ضحكتْ حتّى أغمضتْ عينيها:

- على فكرة أنا بحب الرقم ده، مش أنت لوحدك يعني.

ضحكا ثمّ توقفا عن الضحك فجأة، تتردد نظراها بين النافذة التي بجانبها المطلّة على البحر وبين عينيه، ساد الصمت ولكنّه لم يَسُدْ طويلًا، فقطعه قائلًا:

- أنتِ مين بقى؟

قالها بصوتٍ به فُضول، ناظرًا مباشرة لعينيها:

فظهرتْ على وجهها علامات الدهشة والمفاجأة، ضمّت شفتيها في خجلٍ، ناظرةً إلى أعلى قائلة:

- أنا!

فردّ عمر باسمًا:

- أه أنتِ، بتحبّي إيه؟ بتكرهي إيه؟ عايشة فين؟ عايز أعرف كلّ تفصيلة في حياتك؟

كأنّها تعرفه منذ سنوات طويلة، أعطته الثقة وتحدثت معه كأنّها أمام مرآة تثق بأنّها ستحفظ أسرارها.

يمرّ الوقت كالبرق، جالسان كطفلين يلعبان اللعبة نفسها بالساعات، ولم يشعرا بالملل، ساعات مرت كأنّها سنوات، يولدان فيها من جديد، يولدان فيها بمشاعر صادقة خارجة من القلب.

ღღღ

كم هو حزين الآن! كيف انتهى لقاؤهما بهذه السرعة؟! يريد أن يراها مرة أخرى.

جسده يسير بين الناس، لكن قلبه شارد، بل عقله أيضًا يتذكر بين الحين والآخر كل كلماتها (أنت عارف رغم أن والدي ووالدتي، توفوا من وأنا عندي خمس سنين، وما كانش فاضل ليّ إلّا خالي، إلّا إني صممتْ إني أبقى حاجة، بعد ما خالي توفي، وأنا في الثانوية اشتغلت وتعبت، وصرفت على نفسي لحد ما بقيت صحفية، وأهو أديني بحاول أدافع عن حقوق المرأة، في المجتمع اللي ما بيرحمش ده).

كم هي قوية، طموح، مثابرة! ليت كل النساء مثلها! أصبحت جزءًا لا يتجزأ من يومه، بل لا يستطيع أن يكمل يومه، دون أن يتحدث إليها، مشاعره مضطربة بين إعجابه بسارة الذي يزداد يومًا بعد يوم، وشعوره بالذنب تجاه سما، فمنذ أن سافرت الأخيرة، وهو لا يعرف عنها شيئًا، سوى أنّها ستعود لمصر بعد حوالي شهر ونصف، من الآن لن يفكر كثيرًا، سيترك الأيام تدور وتخبره بما سيحدث.

ღღღ

لم يصدق ما فعلته هذه الفتاة به، هو يكتب الآن، أحدثتْ تغييرًا ليس بقليل في حياته، يغلق على نفسه بعد الانتهاء من روتين العمل القاتل، ويكتب بالساعات ثم يرسل إليها ما كتبه، يشعر بأنّه يكتب من أجلها فقط.

بات يعرف عنها كل شيء، حتى أدق تفاصيلها.

هي على يقينٍ الآن أنه سندها الوحيد في الحياة، ولكن هل يستمر هذا؟!

الشعور بالخوف يسيطر دائمًا، تبًّا للواقع المؤلم!

ღღღ

– أنا قربت أخلص الرواية، فاضلي فيها مشهد واحد

كتبها عمر بفرحٍ، وأكملَ:

– أنا مش عارف أقولك إيه، الشهرين دول أنتِ غيــرّتي فيهم حياتي كلها.

امتلأتْ عيناها بالدموع من شدة الفرح، عندما رأتْ الرسالة.

– أنا ما عملتش حاجة، وبعدين أنت أصلًا موهوب، وأنا فعلًا مشتاقة أعرف نهاية الرواية دي إيه؟

– يعني فعلًا عجبتك الرواية، والمشاعر اللي أنا بتخيلها في العالم بتاعي اللي مبقاش موجود ده؟

– تاني رجعنا للكآبة، يا ابني والله رائعة، وصدقني كملها علشان نفسك على الأقل، كفاية أنك حاسس كل كلمة فيها.

ثم أرسلت رسالة أخرى:

– بس ياريت النهاية ما تبقاش كئيبة ها، أنت لحد دلوقتي ماشي كويس.

– مش بإيدي.

– مش فاهمة؟

رنّ هاتفه، رقم غير مسجل في هاتفه مكتوب أعلاه (paris)، تسمرت ملامحه، نظر للتاريخ على الورقة الموجودة على الحائط، هل مرّتْ هذه الفترة الكبيرة دون أن يشعر، (لا، باقي على الأقل عشرة أيام).

تحدث بها لنفسه كالتائه في الصحراء الواسعة، لا يعلم ماذا يفعل نظر لهاتفه، فأجاب مضطرًّا:

– عمر عامل إيه، واحشني جدًّا.

قالتها سما بصوتها الأنثوي الرقيق، المصحوب بلوعةٍ واشتياق:

– سما عاملة إيه؟ أنا تمام والله.

قالها عمر بصوتٍ يخلو من أي مشاعر، لم تنتبه لمشاعره المقتولة، فأكملتْ:

– أنا خلاص جاية مصر كمان أسبوع، مستنية أشوفك بجد.

- إن شاء الله توصلي بالسلامة.

- مالك يا عمر فيه حاجة؟

قالتها في قلق، وأكملت:

- أنت مخبي عني حاجة؟

- لا لا خالص، بس فيه شوية مشاكل في الشغل معايا.

- طيب روق كده علشان خاطري، ولما أجي تبقى تحكيلي.

- خلاص خدي بالك من نفسك، مع السلامة.

- مع السلامة يا حبيبي.

أغلقا المكالمة، ظلتْ الكلمة الأخيرة في أذنه، لا يفارقه الشعور بالذنب، لا يعلم ماذا يفعل، فتح هاتفه وضغط على أحد الأرقام متحدثًا:

- قابلني يا أحمد ضروري، عايزك دلوقتي، سلام .

- أنت متأكد أنك في الشهرين دول، عرفتها كويس، وحكمت على مشاعرك بشكل صح؟

قالها أحمد لصديقه الذي تبدو على وجهه علامات الثقة.

- عمرها ما كانت بالمدة صدقني يا أحمد.

قالها عمر، ثم أكمل بعد ثوانٍ من الصمت:

– أنا حاسس ناحيتها إحساس غريب، انا لقيت نفسي معاها، وبحس إني يومي ما بيكملش إلّا بيها، حتى وأنا بكلمها على الشات، بحس أنها جنبي وبتخيل كل حاجة بتعملها، وأنا مش شايفها.

صمت لثوانٍ، ثمّ أكمل في شرود:

– أنا بحس أنها بنتي اللي أنا مسئول عنها، ببقى عايز أعرف كل تفصيلة في حياتها، مش هبالغ لو قولت أنى بحسها حتة من روحي ماشية على الأرض.

– طيب وسما هتقولها إيه؟

ثم رفع أحمد يده عاليًا، وأشار بلا مبالاة قائلًا:

– بلاش سما، هتقول إيه لأبوك اللي أنت فتحت معاه موضوعها من سنة، أنت عارف أبوك بيحب سما قد إيه؟ لازم تعمل حساب النقطة دى.

ابتسم عمر غير مُبالٍ بما يُقال:

– مش عارف.

ثمّ أكمل بثقةٍ مجددًا:

– كل اللي أنا عارفه دلوقتي، أنى عايزها في حياتي، وما يهمنيش أخسر أي حاجة، طالما شايف إني بعمل حاجة صح.

– بسهولة كده!

– صدقني أنا أول مرة أبقى راضي عن حاجة في حياتي.

يومًا تلو الآخر يتقرَّب إليها، يبدو أنها امتلكته، ينتظر اللحظة المناسبة؛ لكي يبوح بما بداخله، هو لا يستطيع الانتظار أكثر من ذلك، انتهى اليوم للتو من كتابته، يريد أن يراها لعلّها ذريعة مناسبة لذلك، افتقد كثيرًا عينيها اللتين تبثّان فيه الحياة، يبدو أنه سيخبرها بكل شيء، لم يعد مترددًا الآن، فهي كل ما يتمناه.

- هو أنا لو قولتلك إني نفسي أشوفك بكرة، هترفضي؟

رأتْ رسالته ولم تندهشْ، كمن كانت تتوقع وتنتظر ذلك الطلب، يخبرها إحساسها بأنّه انتهى من كتابته، لعلّها ذريعةٌ لها أيضًا:

- أكيد هوافق، بس اشمعنى بكرة؟

ارتسمت على وجهه الراحة، فأكمل:

- أصل أنا خلصت الرواية، وكنت حابب أخد رأيك فيها؟

- أكيد أنا مشتاقة طبعًا أعرف نهايتها.

- خلاص بكرة الساعة 4 في نفس المكان، اللي اتقابلنا فيه قبل كده.

- خلاص اتفقنا.

هو طائر من الفرحة، هي خائفة كالعادة.

يبدو لها أن الأمور ستحسم غدًا، خائفة من المواجهة لا تعلم كيف ستخبره، لكنها في النهاية ستخبره وليحدث ما يحدث!

ღღღ

يَئسَ من محاولاته المعتادة؛ كي يُرتِّب كلامه، لأنّه كعادته ينسى كل شيء إذا نظر لعينيها، فتح هاتفه فرأى التاريخ (**13** فبراير **2016**)، يبدو أنّ هذا اليوم سيكون فارقًا بالنسبة له، يوم لن يُنسى، هي تحاول أن تستجمع قواها خارج المكان قبل أن تراه، لا تحب أن يراها ضعيفة، ولكن عينيها من شدة الإرهاق تفضحانها، لم تنمْ طوال الليل، عيناه تشتاقان إليها، يظهر ذلك في نظراته التي تترقب قدومها ناحية الباب، سارت نحوه بخطواتٍ يصحبُها الخوف، تظهر على وجهها ابتسامتها الدائمة، وصلت أمامه مباشرة، تلاقتْ أعينهما، لا يريد شيئًا من الحياة سوى تلك المشاعر الصادقة، التي تتحرك داخله الآن، فقط يتمنى أن يتوقف الزمن به الآن، فهذا كل ما يريده.

- مش واخد بالك من حاجة.

قالتها سارة بصوتٍ ضاحك:

- إيه؟

- النهاردة **13** والترابيزة رقم **13**، كده كتير على فكرة.

ضحك عمر حتى أغمض عينيه، وأشار لها بأن تنظر خلفها على إحدى الشاشات الموجودة في المكان:

- بصي هناك كده، حتى الفيلم اللي شغال (العميل رقم **13**).

ضحكت بصوتٍ رقيقٍ، وأكملت مداعبة:

- لا كده نروح بقى.

أخرج مجموعة من الأوراق من حقيبته، ووضعها أمامها مباشرة، اتسعتْ عيناها من الفرحة، يبدو أن مهمتها قد نجحت.

– أخيرًا خلصتها يا عمر.

ثم قالتْ بفضولٍ يملأ صوتها:

– أنا هقرأ آخر مشهد، أنا مستنياه على نار.

أمسكت الورق وأرجعت رأسها للخلف، تقرأ كلماته في اهتمام، لم يفعل شيئًا حينها إلا النظر مليًّا إليها، فقد سنحت الفرصة له بأن ينظر دون توقف لعينيها، اللتين تنتقلان بين الأسطر، (كم أنتِ جميلة! كم أنا محظوظ!)

ღღღ

فرحة غامرة تملأ قلبها، ثلاثة أيام فقط تفصلها عن عودتها إلى مصر، تُرتِّب أغراضها بسعادة، صندوق متوسط الحجم بين هذه الأشياء، تفتحه بشغفٍ يملأ عينيها.

مِن بين الهدايا والصور الكثيرة الموجودة بداخله، أخرجت صورة لها ترتدي فيها زيَّ التخرج، على يمينها شابٌّ متوسط الطول، على قدرٍ من الوسامة، وعلى يسارها شابٌّ سمين، تظهر على وجهه علامات البشاشة، مكتوب على ظهرها بثلاثة خطوط مختلفة: (عمر: لقد هرمنا من أجل هذه اللحظة. أحمد: كانت حفلة لذيذة بس ما فيهاش أكل. سما: اتخرجنا يا فضائيين).

تذكرت كل ما حدث في حفل التخرج بتفاصيله الدقيقة، فابتسمت.

كان يومًا ليس عاديًّا بالنسبة لها، فلقد صارحها يوم الحفل بحبه لها، لذا فتعتبره أسعد أيام حياتها على الإطلاق.

مرَّ سنةٌ تقريبًا منذ أن ارتبطا، لم يقصّر في حقّها يومًا، بل كان مثاليًّا لا تتذكره إلّا بكل خير، هي على يقينٍ بأنّه ليس لها حياة إلّا معه.

أيام قليلة تتبقى لها كي تراه، أيام قليلة تفصلها عن خطبتها لعمر، تنتظر حلمها الذي عاشت سنوات طويلة على أمل أن تحققه، هو كل ما تحلم به.

ღღღ

– بس أنت كده سايب النهاية مفتوحة، حتى بطل الرواية مصيره مجهول!

قالتها [illegible] بصوتٍ به حيرة، ثم أكملت:

– ممكن بقى أعرف ليه؟

فأجابها بصوتٍ زاد قلقها:

– ما حدش عارف بكرة فيه إيه؟

حرّكت رأسها معبرة عن عدم فهمها ما يقصده، فنظر لها باهتمام وأشار ناحية هاتفها:

– إفتحي الواتس هبعتلك حاجة كده.

مرّت ثوانٍ قليلة،حتى أرسل عمر ما أراد، ظهرت دائرة التحميل على هاتفها، وعندما اختفت الدائرة، وجدت صورة واحدة مُجمعة بها ثلاث صور، الأولى لها والثانية له، أما الصورة الثالثة هي خاتم زواج، اتسعت عيناها من الفرح والذهول، واحمرت وجنتاها من الخجل.

لم تدرِ ماذا تقول، بل لم تستطع النظر إليه.

- تتجوزيني؟

قاطعت هذه الكلمة تفكيرها، فزادت ضربات قلبها التي شعرت بأنه يسمعها، حاولت أن تستجمع كلماتها مرة أخرى، هي خائفة من المواجهة.

- طيب وسما؟

قالتها بصوت لا يكاد يسمعه، لم يكن مندهشًا من السؤال بل كان يتوقعه، اقترب منها أكثر، وأجاب باهتمام شديد:

- أنا حكيتلك كل حاجة عن الموضوع ده، وإحنا لسه أصحاب قبل ما أصارحك باللي أنا حاسه ناحيتك دلوقتي، وده أكبر دليل إني فعلًا مش حاسس ناحيتها حاجة، صدقيني أنا عايز أكمل حياتي معاكي أنتِ.

- بس أنت لسه ما تعرفنيش؟

قالتها وتبدلتْ ملامح وجهها تمامًا، خانتها دموعها التي سالتْ فجأة. لم يدرِ ماذا يفعل؛ كي يُهدِّئها، وضع يده فوق يدها الموضوعة فوق المنضدة كي يهدئها، فنظرت مباشرة إلى عينيه الممتلئين بالدفء.

تريد أن تقول شيئًا، ولكن يبدو أنّ هناك ما يجعلها تفكر ألف مرة قبل أن تقوله.

- أنتِ مخبية حاجة عني صح؟

قالها بصوتٍ حنون، أرجعتْ جسدها إلى الوراء، وأجابتْ:

- أه، ولازم تعرفه قبل ما تاخد قرار إنك تكمل معايا.

أخذت نفسًا عميقًا، محاولة أن تتوقف عن البكاء، لكنّها فشلتْ:

- ليا طلب بس قبل ما أحكيلك.

أجاب مسرعًا:

- قولي طبعًا.

- أوعدني أنك مش هتسيبني.

قالتها وانفجرت في البكاء مرةً أخرى، ولكن هذه المرة بغزارة شديدة، تنساب دموعها كالأمطار، لا يستطيع أن يرى عينيها من شدة البكاء.

- صدقيني أنا ما أقدرش أسيبك، وتأكدي أن مهما حصل، وحتى لو القدر ليه رأى تاني وفرقنا، هتفضلي أنتِ الحبّ الوحيد في حياتي.

ثم وضع يده فوق يدها مجددًا يبثّ فيها طمأنينة، وأكمل:

- علشان خاطري اتكلمي، وما تخافيش أنا ما أقدرش أسيبك.

جففتْ دموعها ثم فتحت حقيبتها، وأخرجت منها جريدة يبدو أنها قديمة نوعًا ما، وضعت الجريدة أمامه مباشرة مشيرة إلى أحد العناوين

الموجودة به، (اغتصاب فتاة تحت تأثير المخدر، فليسقط مجتمع اللاقانون)، تحت هذا العنوان أسطر كثيرة، وصورة فتاة على وجهها شريط أسود، وقعت عيناه أسفل الخبر على اسم الصحفي الناشر له فوجده، (سارة عادل).

نظر إليها في حيرةٍ مشيرًا لعدم فهمه، لكنه نظر مجددًا للصورة الموجودة بالجريدة، هي تشبهها كثيرًا، (أخشى أن يكون ما أفكر فيه صحيحًا)، أشارتْ له برأسها بأن ما يفكر فيه صحيح.

- أيوه البنت دي أنا، أنا كنت ضحية لمجتمع بيربي الرجالة فيه، أن مهما غلطوا فهما رجال، أنا ضحية مجتمع فيه البنت لو خرجت وقت متأخر لأمر ضروري، تبقى بنت مش كويسة.

بكتْ مجددًا، لكنها صممتْ أن تكمل.

- خالي كان تعبان جدًّا بيموت، ومافيش حد في البيت معاه غيري، كان الوقت متأخر قوي، وما كنتش عارفة أعمل إيه، اضطريت أنزل علشان أجيب دكتور، كان فيه عربية راكب فيها اتنين من السلالة اللي فاكرة نفسها رجالة، حطوني في العربية ولما رفضت وصوتي على، حطولي مخدر على وشي يعني الموضوع بالنسباهم مكنش صدفة ونزوة دول كانوا مرتبين ليه.

كانت كلماتها كالصاعقة على أذنه، لا يصدق ما يسمعه، تبدو الآن قوية.

– عملوا اللي عملوه، ورموني في مكان بعيد تاني يوم الصبح، ولما رجعت للأسف لقيت خالي أتوفى، علشان كده أنا صممت أخد حقي وطلعت صحفية، وزى ما أنت شايف، أنا اللي كاتبة الخبر بنفسي في الجريدة اللي بشتغل فيها

ورغم أن الحادثة بقالها سنين طويلة جدًّا، بس أنا مستعدة أخسر حياتي، علشان أجيب حقي من المجتمع الزبالة ده.

يبدو أنها انتهتْ من كلامها، ساد الصمت بينهم دقائق لا يصدق ما يسمعه، نظرتْ إليه مجددًا:

– ها لسه ناوى تتجوزني.

لا يستطيع الرد، يرى الآن كل العقبات والمشكلات أمام عينه، لكن هذه العقبة أكبرها على الإطلاق، تلوَّنتْ حياته فجأة كلها باللون الأسود.

تبدو هي أكثر قوة، ارتسمتْ على وجهها ابتسامة ثقة:

– سكت ليه؟ أكيد دلوقتي بتتمنى إني ما كنتش اتكلمت صح؟

– أنا ما قولتش كده، بس....

قاطعته بصوتٍ يملؤه الثقة مجددًا:

– بص يا عمر أنا ماعنديش استعداد أعيش معاك، وأنا مخبية حاجة زي كده عن أهلك، ممكن تقولي هتقدر تقول لأهلك حاجة زى كده ولا لا؟

نظر إلى الأرض دون أن يُجيب، تبدو على وجهه علامات اليأس.

تبدو هي قوية جدًّا الآن، لن تخاف مجددًا.

- شفت بقى أنه مش هينفع.

حملتْ حقيبتها، ونهضت مسرعة تجاه الباب.

- سارة؟

قالها عمر محاولًا أن يمسك بطرف يدها:

- أنا فعلًا محتاجك جنبي.

نظرتْ له وعلى وجهها علامات الضعف والانكسار:

- صدقني أنت محتاج تخرج بس من دوامة المجتمع ده، وساعتها هتعرف أنا قصدي إيه.

تركت أصابعه المتعلقة في يدها، ورحلت، رحلتْ ورحل معها كل شيء، كيف للقدر أن يكون قاسيًا لهذا الحد؟!

....

تبدلتْ ملامحه ليصبح شخصًا لا يعرفه، شخصًا مليئًا باليأس، لا يصدق أنه في هذه الفترة القصيرة، حدث ما يكفي لتغيير حياته، شيء ما يستغيث بداخله، شوق إليها يصل حدّ الجنون، يحدّث نفسه بالساعات دون صوت، (تترك للمجتمع اللعين بأن يختار لك حياتك، حقًّا إنك أحمق، تائه بين ما يريده قلبك، وبين تلك السخافات المُسماة بالعادات والتقاليد، من سينتصر؟ لا أدري، لكن ما أعرفه جيدًا، أنني سأعيش مرة واحدة، ويبدو

أنني لن أعيشها كما يريدون فقط، بل سيصاحبني الندم أيضًا، ما كان يجب أن أتركك).

ღღღ

على غير عادته يلازمه دخان سجائر، يخرج من فمه بشكلٍ يائس، يكاد التفكير يقتله، يحاول أن يجد حلًا في الأيام القليلة المتبقية (تقدر تقولي هتقدر تقول لأهلك حاجة زي كده ولا لا؟)

يتذكر كلماتها بين الحين والآخر، شيء ما يسلب روحه منه، أمسك هاتفه وأرسل لها بشوقٍ يكاد تقتله (سارة أنا محتاجك).

دقائق مرتْ لم ترَ الرسالة، زاد قلقه فأرسل عدة رسائل متتالية، على أمل أن تُعيد رسائلها الروح له مجددًا، لكن بلا أي إجابة منها.

لَم كل هذا التعقيد في الحياة؟

تريد شيئًا وتكتمل روحك به، وفجأة ينصرف عنك، وترى أيضًا من يريدك أنت، فتتجاهله غير متعمد، فقط لأنك لم تشعر به، ومن تتجاهله يتجاهل غيرك، كدائرة مشاعر مغلقة، لا يوجد شيء كامل إذا كنت تبحث عن الكمال، لكنّك وجدت الأهم من ذلك بجانبها، وجدت نفسك، أليس هذا كافيًا؟!

مرّ يومه كسنة سوداء، لكنه قرر ألا يستسلم بسهولة.

ღღღ

انتهتْ من مقالها الذي سينشر في العدد القادم، يبدو لها مقالًا مُختلفًا، مقالًا لا يحتوي على أية كلمات أو أسطر، فقط يتوسَّطه عنوان (مجتمع مغتصِب) وتحته أسطر فارغة تمامًا، تحدتْ سارة الجميع به، توجِّه رسالة بأن الصمت هو أقوى وسيلة الآن للتعبير عما يحدث، لم يكن الخوف في دائرة مشاعرها الآن، بل الأسوأ من ذلك أنها ضعيفة بدونه، لكنها تصطنع القوة، (هل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها).

تذكرتْ هذه الكلمات التي قرأتها من قبل، فهي الآن ميتة، فلا داعي للخوف إطلاقًا، لكنها تحتاج إليه الآن أكثر من أي وقت، شيء داخلها يستغيث أيضًا.

أصدر هاتفها صوتًا، فأسرعت في شغفٍ إلى فتح الرسائل، ارتسمت علامات الراحة على وجهها، لكن لم تدمْ طويلًا قررتْ ألا ترد، فكفي لها الآن أن ترى فقط كلمات تسكن وجعها، ما أصعب أن توضع في مقارنة ليس لك بها يَد، بين كبريائها، ومشاعرها المُلتاعة نحوه، حائرة تذكر جيدًا ما حدث لها في الماضي، فتشعر بالاشمئزاز من نفسها وممن حولها، لكنها باتتْ الآن تعشقه.. ألا يغفر له ذلك؟

على أية حالٍ، فقد اختارتْ الصمت (علشان خاطري اتكلمي، وما تخافيش أنا مش هسيبك).

انفجرت في البكاء حين تذكرت كلماته، فارقته بمجرد أن تكلمتْ، تلوم نفسها بين الحين والآخر، (أكان يجب عليَّ أن أتكلم، أنا الآن لا أستطيع العيش بدونه).

عادت للخوف مجددًا.

ღღღ

تنهّد حين قرأ آخر أسطر رواية كان قد استعارها من سما، مع أنه قد قرأها من قبل مرات عديدة.

وضعها أحمد بجانب عدة روايات، كان قد قرأها من قبل.. لا يحبّ القراءة كثيرًا، ولكنّها كانت وسيلةً من سنواتٍ مضتْ؛ كي يتقرّب منها.

تعمّد بألّا يعطيها إيّاها مُتحجِّجًا بالنسيان، فعلى الأقل هذا سيمنحه سعادة مؤقتة، أخرج مذكرته الصغيرة من أحد الكتب:

(عارفين فيه حاجات وتفاصيل صغيرة، بس بتفرحنا قوي، يعني ممكن تمشي في شارع بيفكرك بحد بتحبه، فتحس كده براحة نفسية، مجرد بس أنك تشوف حاجة فيها ريحة شخص بتحبه، ده كفيل أنه يسعدك، حتى لو ما كانتش الحاجة دي ليك!

مجرد بس أنك تشوفه سعيد، حتى لو مع غيرك، دي أكتر حاجة ممكن تخليك فرحان، وتخليك موجوع برده في نفس الوقت، بس ده النصيب، الحمد لله).

أغلقَ مذكرته، ووضعها مجددًا في أحد كتبها، يستعدُّ للنوم، المُسكِّن الوحيد له منذ أن تملّكه حبُّها.

ღღღ

تمكّن منه القلق، لَمِ لا ترد؟ أعاد الاتصال بها يائسًا، لكن بلا أي رَدٍّ، يبدو أن الأمر يزداد تعقيدًا، مَن يَرَه الآن لن يعرفه، يبدو وجهه شاحبًا شديد الاصفرار، ولحية مهملة.

أعاد الاتصال مرة أخرى على أمل أن يجد ردًّا، فزاده الأمر هذه المرة حيرة، فقد أغلقت هاتفها تمامًا، شعر بأنّ هناك شيئًا ما وخز قلبه، يعلم أن كبرياءها هي ما تفعل كل ذلك، فلا لوم عليها (تقدر تقولي هتقدر تقول لأهلك حاجة زي كده ولا لا؟)

حين تذكّرها هذه المرة لم يتردد كثيرًا، نَهَضَ من جلسته محدّثًا نفسه: (سأفعل أي شيء مهما كلفني الثمن، أفتقدها بالفعل فلن أجد نفسي إلا مرة واحدة، فلتكن معها إذًا).

فتح باب غرفته، ثمّ توجَّه للصالة الكبيرة في البيت، لكي يتحدث لوالده في أمرها، رجل في العقد السادس من عمره، يرتدي نظارة للقراءة، ممسك بيده جريدة يقرؤها دون اهتمامٍ في روتينٍ مُملٍّ، اقترب منه بخطواتٍ يملؤها الخوف، راجيًا الله أن تنجح محاولته.

انتبه والدُه لصوت خطواته، فوضع الجريدة جانبًا،وأشار إليه بالجلوس:

- شفت يا عمر يا ابني، الدنيا ما بقاش فيها أمان خلاص.

قالها والده بحزنٍ شديد، ثمّ خبط كفيه إحداهما بالأخرى:

- يعني تبقى بنت عندها 12 سنة، ويغتصبوها 3 مبرشمين، ومش بس كده دول قتلوها بعد كل ده، حسبي الله ونعم الوكيل، الدنيا ما بقاش فيها أمان.

ضربات قلبه تزداد من الخوف، تظهر على وجهه علامات الأسى والحزن، لم يتفوّه بكلمة، اكتفى فقط بالاستماع لوالده.

وَضَعَ والده نظارة القراءة جانبًا، ثم أكملَ في اهتمامٍ:

- قولي صحيح هي سما جاية بكرة من السفر صح؟ عايزين نفرح بيك بقى يا ابني.

تثاقلت الكلمات على لسانه، حاول أن يخبّئ توتره، فوضع كفيه إحداهما في الأخرى:

- ما هو ده بصراحة اللي جاي أكلمك فيه.

ღღღ

تستند بذراعيها اللتين تغطي بهما وجهها على مكتبٍ قديم، عليه جرائد وملفات ورقية كثيرة، بجانبها فنجان قهوة ممتلئ، يبدو أنه قد أُهمل لساعاتٍ دون أن تنتبه له، اقتربت منها "مي" ثم وضعت يدها في حنانٍ على كتفها، قائلة:

- هتفضلي كده لحد إمتى يا سارة، خلاص اللي حصل حصل.

أنزلت يديها ووضعتهما جانبًا، ناظرة لصديقتها، ثم تنهدتْ في حيرة:

- أنا حبيته يا "مي"، فاهمة يعني إيه حبيته!

ثم نظرت أمامها، وتابعت:

- بس في نفس الوقت ما أقدرش أعيش معاه، وهو مخبي حاجة زي كده على أهله، ده غير إني بدأت القضية دي، ومش هسيبها إلا لما أخد حقي، أنا مصممة ما أسيبش حقي حتى لو هموت.

اغرورقتْ عينا "مي" بالدموع فجأة، لكنها تماسكتْ على الفور، وأكملت:

- هو كلمك تاني؟

نظرتْ سارة لهاتفها، ثم حركت رأسها بالإيجاب وأجابت:

- ما ردتش وبعدها قفلت تليفوني، لأني ما أقدرش أرد عليه، علشان متأكدة إني هضعف.

حركت مي عينيها يسارًا ويمينًا، وأكملت متسائلة:

- طيب هتتصرفي إزاي؟

بعينين ثابتتين أمامها سمعت سارة هذا السؤال، وأجابت بضعف:

- ما أعرفش.

- السلام عليكم عاملين إيه يا جماعة؟

قطع تفكيرهما هذه المرة إياد زميلهما في الجريدة، فنظرت الفتاتان إليه وردّتا السلام.

– الجريدة عاملة رحلة للفيوم الأسبوع الجاي، فأنا حجزت لكم تذكرتين خلاص.

أخرج التذكرتين من جيبه، واقترب من سارة متجاهلًا "مي" خلفه، وضع التذاكر على المكتب أمامها، وأكمل بصوتٍ يملؤه الاهتمام:

– ياريت تيجي المرة دي يا سارة هستناكي، حاولي تغيري جو علشان ما تتعبيش.

لم ترد، بل اكتفت فقط بالابتسام، والنظر لصديقتها "مي"، فأدار وجهه محدثًا مي:

– ما تجيش إلا وفي إيدك سارة يا مي.

قالها ثم تابَعَ السير، حتى وصل عند باب المكتب، فأدار وجهه مجددًا لسارة كمن يتذكر شيئًا، وأردف:

– أه على فكرة، مقالك الأخير عجبني، رغم أنه فاضي يعني.

نظرتْ للتذكرتين بجانبها، ولصديقتها في دهشة بعد أن رحل تمامًا.

– على فكرة إياد ده الوحيد اللي أضمن أنه عمره ما يتغير عليكِ أبدًا.

– ليه بتقولي كده؟

– علشان هو عارف كل حاجة عنك، ومصمم بقاله سنين يقرب منك، وأنتِ مش مدياله فرصة خالص.

كأنّها لم تسمع كلمات صديقتها الأخيرة، نظرت سارة أمامها شاردة، ولم تعطِ الأمر أهمية، لقد افتقدته بالفعل فبعض الثواني معه تغنيها عن العالم بأسره، فكيف إذًا تفكر في غيره، التفكير في البعد فقط يقتلها، فكيف ستستمر في ذلك؟

ღღღ

– ها يا بابا قلت إيه؟

قالها عمر بصوتٍ يُصاحِبه القلق، منتظرًا الرد، نظرات والده لا تُعبِّر عن الرضا أبدًا.

– يعني أنت عايز تسيب سما، اللي وقفت جنبك طول السنين اللي فاتت، وتروح تتجوز واحدة أنت لسه عارفها بقالك شهرين؟

اكتفى عمر فقط بالاستماع دون أن يتفوّه بأي كلمة، حتى تبدّل صوت والده فأكمل بهدوء:

– يا ابني دي واحدة، أنت ما تعرفش حاجة عنها وعن ماضيها، وكمان أنت بتقول ما لهاش أهل عايشين معاها، قولي إزاي عايزني أوافقك؟

زاد الموقف صعوبة على عمر، هو لم يخبره بالأمر الأثقل بعد، لا يعرف هل سيزيد هذا الأمر صعوبة، أم لا؟

فَتَحَ هاتفه ثم دخل على أحد مواقع الإنترنت لإحدى الجرائد، وأشار لوالده بقراءة الخبر، أمسك والده الهاتف متعجبًا، ووضع نظارة القراءة

على عينيه، تبدَّلتْ ملامحه للدهشة حين قرأ، تتردد نظراته بين الخبر، وبين ابنه الجالس أمامه، لا يعلم ما يفكر فيه صحيح أم لا؟ فأشار إليه والده على صورة الفتاة قائلًا:

- هي دي تبقى....؟

قاطعه عمر مشيرًا برأسه بأنّها هي ما يُحدثه عنها.

- الموضوع ده مقفول تمامًا، ما عنديش فيه كلام تاني.

قالها والده بغضبٍ، ثم نهض من مجلسه:

- إزاي مقفول؟ بقولك أنا بحبها.

قالها عمر ثم نَهَضَ هو الآخر:

- تقدر تقولي لو ليَّ أخت وكان حصلها كده، يا ترى موقفك ساعتها كان هيبقى زي دلوقتي؟

شعر والده لثوانٍ بأنه لا يستطيع الرد، ولكنّه أكمل بعنف:

- أنا قلت الموضوع مقفول، يعني مقفول.

قالها ثمّ تحرك حتى وصل أمام باب غرفته ففتحه، واختفى عن أمام عمر.

يبدو أنّ المسألة أصبحت مستحيلة الآن، لأول مرة يشعر بأنه عاجزًا عن فعل أي شيء، لا يفعل شيئًا إلا المشاهدة فقط، حياته كأحد الأفلام السينمائية يشاهدها فقط، دون أن يكون له دور فيها، إلى متى سيستمر

هذا الوضع البائس، يبدو أنك لن تختار أبدًا، ظلّ متسمرًا مكانه بالساعات، يحدث نفسه حائرًا: (هل انتهى فعلًا حلمي قبل أن يبدأ، تنفذ محاولاتي ولا أستطيع فعل شيء، الأكثر قسوة ووجعًا من ذلك، هو أنني أريد أن أراها ولا أستطيع).

الجريدة!

ظهرت فجأة في عقله تلك الفكرة، فتح على الفور موقع الجريدة التي تعمل بها، حفظ عنوان الجريدة عن ظهر قلب، خرج من منزله مسرعًا، وأوقف أحد سائقي الأجرة، انتبه عمر لأحد بائعي الجرائد، فأشار إلى السائق بالتوقُف، ثم طلب من البائع جريدة معينة فأعطاه إياها، وأكمل طريقه، فتح عمر الجريدة على صفحة مكتوب فوقها: (أخبار المجتمع)، وَجَدَ مقالها الفارغ، صُعق من عنوانه، شعور ممزوج بين السعادة والخوف، الآن سعيد بأنه يرى لها مقالًا أو أي شيء يذكره بها خائفًا أيضًا، فالصمت الذي يراه الآن يأتي بعده المصائب.

أكثر ما يُخيفك هو الصمت، فإن تكلّم المرء لا تخشاه، دقائق فقط تفصله عن رؤيتها، دقائق تفصله عن حياة بالنسبة له.

وصل أمام العنوان مباشرة منتظرًا إيّاها، نظر إلى ساعته، إنها السادسة مساءً، لم يكترث للوقت، حتى لو انتظر للصباح، مرت دقائق حتى وجد عدة فتيات يخرجن من الباب الرئيسي، ظل يقلّب بصره بينهن يمينًا ويسارًا حتى وجدها، تقدم خطوتين للأمام، ثم تردد ورجع للخلف قليلًا، خوفًا من أن يسبّب لها أي إحراج، انتظر حتى مرتْ الفتيات أمامه مباشرة، فهمّ مناديًا:

- سارة.

انتبهت للصوت، فاتسعت عيناها من المفاجأة، ترددت نظراتها بينه وبين صديقاتها، أشارت لصديقاتها بالانصراف وأنها ستلحق بهن، واقتربت منه ليخفق قلبها بشدة.

- ينفع اللي بتعمليه فيَّ ده، أنتِي عارفة إني ما أقدرش أعيش من غيرك.

قالها عمر بصوتٍ يملؤه الشوق، ثم أكمل بحنانٍ:

- وأكيد عارفة إني بح...

- ما لوش لازمة الكلام ده دلوقتي يا عمر.

قاطعته هذه المرة وهي تنظر جانبًا، محاولة أن تبدو قوية، ليته يعلم ما بداخلها.

- أنتِ ليه بتقولي كده؟

نظرت لعينيه مباشرة بتحدٍّ، ثمّ تابعتْ:

- أهلك هيوافقوا على حاجة زي كده يا عمر؟

نظر إلى الأرض حين سمع سؤالها، فتابَعت مجددًا:

- أنت كلمتهم يا عمر ورفضوا صح؟

نظر إلى عينيها مباشرة، تائهًا، يحاول بقدر الإمكان أن يستجمع كلماته:

- أه رفضوا يا سارة، بس أكيد لسه فيه محاولات تاني، أنا مش هسكت.

امتلأتْ عيناها بالدموع، لكنها منعتها بابتسامة ساخرة:

- أنا كنت متوقعة كده على فكرة.

ثارتْ ملامح عمر فجأة، قائلًا بعصبية:

- ما أنا مش عارف أنتِ إيه اللي كان مخليكِ مصممة أقولهم؟ مع أن أنا وأنتِ كنا هنقدر نتعايش مع حاجة زي كده ونخبيها.

ابتسمت مرة أخرى، لكنها هذه المرة ابتسامة تملؤها الثقة، فأجابت بتحدٍّ مرة أخرى:

- صدقني إجابتي مش هتغير دلوقتي أي حاجة، المهم إني مقتنعة.

قالتها وأشارت إليه بالانصراف مستأذِنةً:

- عن إذنك أنا همشي.

تحركت خطوتين للأمام، فتحرك خلفها، وأمسك بيده أصابعها التي تنزلق من بين يديه:

- سارة.

نظرت مباشرة في عينيه، بهما الكثير والكثير، فقط ما استطاعت أن تقرأه حينها، يريد أن يحتضنها بشدة ليحيا بقُربها من جديد:

- ما تسيبنيش.

انزلقت أصابعها تمامًا من بين يديه، فأدارتْ وجهها وتابَعت السير في طريقها، بكتْ هذه المرة كالأطفال، لكنها حرصتْ على ألَّا يشاهدها.

ينظر هو لأصابعه التي لمست يدها، كم يتمنى أن يدوم إحساسه المؤقت، الذي يشعر به الآن! راحة مؤقتة لكن تَبِعَها ألمٌ، ألم الفراق.

لا يستطيع أن يصفه أحدٌ إلا مَن جرَّبه فقط، يشاهد جسدها يختفي عن ناظريه بعيدًا، ويقف عاجزًا عن فعل شيء، تبًّا للحياة إن ظلتْ هكذا!

ღღღ

لم يقصد جهة معينة، بل سار في الطُرقات بعشوائية، قُتل حلمه قبل أن يبدأ، تلك هي المأساة، ليت القرار بيده، هذا أكثر ما يُؤلمه، نظر بساعته فوجدها الثانية والنصف صباحًا، لم يشعر بالوقت إطلاقًا، تأخذه قدمه لمكانٍ لا يعلمه.

(عارف أنا بحب عبد الحليم جدًّا، خد الأغنية دي اسمعها هتعجبك).

أغمض عينيه حين تذكَّر كلماتها، ثم فتح هاتفه وبدأتِ الأغنية

(بس قلبي لسه خايف من الليالي، وأنت عارف قد إيه ظلم الليالي)

ارتعد من داخله حين سمع هذه الألحان، كأنَّها هي مَن تتغنى بها، فتح نافذة المحادثة القديمة بينهما، رؤية بعض الكلمات منها قد تُريحه، وقد تُؤلمه، توقَّف عند بعض السطور، ليقرأها باهتمام:

- عمر عايزة أسالك سؤال، وتجاوبني بصراحة.

- لا.

- هههههههههههههه، أنا بتكلم بجد بطل غلاسة.

- اسألي يالا بسرعة، علشان وقتي من دهب.

- غلس على فكرة، أنتِ إزاي في الفترة القصيرة دي، أمنت ليّ كده وقلت لي كل أسرارك، وبقينا بنتكلم تقريبًا طول اليوم، ممكن تقولي السر؟

- عارفة يا سارة، أنا من أول يوم شوفتك فيه، ورغم ظروفي المهببة اللي كنت فيها ساعتها، إلا أني شفت في عينيكِ كلام وحاجات شدتني ليها، وده اللي زود فضولي، إني لازم أعرفك وأقرب منك، وكل يوم بيعدي بقيت بحس إني عايز أقرّب منك أكتر، رغم إني دلوقتي حاسس إني أعرفك من سنين.

- حاجات وكلام إيه اللي شوفتهم في عيني؟

- مش هقولك.

- غلس.

ابتسم حين قرأ تلك الأسطر، لكن تبدَّلت ملامحه على الفور بالعبوس، حين تذكر أنه ليس معها، هذا الشعور وحده يقتله، توقفت هذه الألحان فجأة، واختفت المحادثة أيضًا، اتصال قادم له، اتصال هذه المرة قادم من القاهرة، من رقمٍ أرضي غير مسجل لديه، ضغط على الزر وبدأ المكالمة:

- ألو.

- أيوه يا عمر إزيك؟

- مين! سما؟

قالها بصوتٍ يصحبه الدهشة والقلق:

- أيوه سما طبعًا، أنا وصلت القاهرة أهو الحمد لله، وحشتني قوي.

تجاهَلَ مُجددًا آخر جملة منها، ثم أجاب بصوتٍ مُختنق:

- أه حمد الله على السلامة، طيب جاية إسكندرية إمتى؟

- أنا جاية في المطار، كمان 3 ساعات كده هكون عندكم في إسكندرية، هستناك أنت وأحمد.

- طيب وبابا مش هيبقى معاكِ؟

- لا بابا هيخلص حاجة هنا في القاهرة، وأنا هاجي لوحدي.

- طيب خلاص هنستناكِي.

ღღღ

بعد أن انتهت من عملها المطلوب منها تنفيذه في الجريدة، نظرت لهاتفها الموضوع على مكتب العمل بجانبها، وفتحت نافذة الرسائل بينهما، ثلاثة صور كان قد أرسلها إليها في صورةٍ واحدة، تعني لها الكثير والكثير، تذكَّرت ذلك اللقاء بكل ما فيه، الراحة والألم سكنا ملامحها معًا الآن، شعور غريب للغاية، ليته يعلم أن طلبه الذي رُفض كان خارجًا عن إرادهما، فالأنثى عندما تجد سندًا في هذه الغابة الكبيرة المسماة بالحياة، لا تُفرط فيه بسهولة، إلا إذا كان هذا الأمر يتعلق بشَرفها أو كرامتها، فحينها تتساوى جميع الأشياء عندها، كم تُحبُّه! وكم هي موجوعة!

معادلة يصعب بل يستحيل تحقيقها في هذا المجتمع.

- سارة المدير عايزك دلوقتي بسرعة.

قالتها "مي" مشيرة لمكتب المدير، فتركت ما بيدها على الفور، وتوجهت لمكتبه، طرقت باب مكتبه بطريقةٍ يصحبها بعض الخوف والقلق، ثم فتحت الباب:

- السلام عليكم، إزيك يا أفندم.

- وعليكم السلام، اتفضلي استريحي يا سارة.

قالها المدير الذي يبدو أنه في العقد الخامس من عمره، ثم وضع عدة أوراق جانبه ونظر لها باهتمام قائلًا:

- أنتِ عارفة يا سارة أنا بعزك قد إيه؟ وبعتبرك زي بنتي منال بالظبط، وخالك الله يرحمه كان موصيني عليكِ كمان قبل ما يموت.

- أيوه، أكيد طبعًا أنا عارفة والله.

قالتها ثم ساد الصمت لثوانٍ قليلة، فتابعت:

- هو فيه حاجة حصلت؟

أسند يديه إلى المكتب الفاصل بينهما واقترب برأسه إليها، وتابَعَ في عطف.

- كلنا هنا في الجريدة عارفين الحادثة بتاعتك، وكلنا فخورين بيكي إنك مصممة تاخدي حقك وإنك بنيتي نفسك من الصفر، وبتواجهي كل المطبات لوحدك.

ثم أسند ظهره للوراء وأكمل في جدية:

- لكن ده ما يدكيش الحق أن مقالاتك اللي بتكتبيها من سنين، تبقى عن نفس الموضوع وما فيهاش جديد، ما ينفعش أبدًا حادثة شخصية تفضلي متأثرة بيها طول عمرك، لأن ده بينعكس على شغلك وكتاباتك.

- حادثة شخصية!

قالتها سارة بتعجُّب، ثم تابعتْ بحماسةٍ ظهرت عليها فجأة:

- لا بقى، على فكرة يا أفندم أنا حالة من ضمن ملايين الحالات، اللي بتتعرض للاغتصاب في المجتمع الذكوري ده،ومش شرط يكون الاغتصاب جسديًّا بس، ده ممكن يبقى في الأفكار كمان، الأفكار اللي المجتمع بيوردها لينا، زي أن الولد مهما غلط فيبقى اسمه راجل، وزي أن البنت لو سن الجواز اتأخر عن 30 فتبقى عانس مع أنها ممكن ما تكونش لقت شريك حياتها المناسب، زي جواز الصالونات واللي جاهز بيشيل، وكأنها بقرة بتتباع.

ظهرت في عينيها دموعٌ لم تَسِلْ بعد، فتابَعت بصوتٍ ضعيف:

- أنا تعبت ووصلت للمكان ده وبقيت صحفية، علشان أعبر عن الملايين اللي بيحصلهم زي وأكتر، لأن ما حدش هيحس بيهم إلا اللي داق من نفس الكأس. يعني مش حادثة شخصية زي ما حضرتك بتقول.

رقّ قلبه لكلامها، فقال:

- بصي يا بنتي أنتِ عارفة أننا في جريدة خاصة مش حكومي، أنا هنا عبد المأمور، ووصلتني شكاوى من صاحب الجريدة وقلت أوصلهالك، حاولي تخلي بالك شوية، لأن بيتهيألي المرة الجاية، هيبقى كلامه مباشرة منه ليكِ، والله أعلم إيه ممكن يحصل ساعتها.

يبدو أن دموعها ستنهمر الآن، فأشارت له مستأذنة على الفور بالخروج، لا تحبُّ أن يراها أحدٌ ضعيفة، خرجت وأغلقت الباب خلفها.

سالت دموعها على الفور حينها، ظانَّةً أنه ليس هناك أحد بالخارج، لكنها فوجئت بشاب في منتصف الثلاثينيات، طويل القامة يقف أمام الباب مباشرة.

- أنا كنت متوقع أن ده يحصل على فكرة.

قالها إياد بصوتٍ يملؤه الحنين، ثم أخرج من جيبه مناديل ورقية، وأشار إليها بأن تأخذها، ثم تابَع في صوتٍ يملؤه الفضول:

- هو إيه اللي حصل بالظبط، احكيلي.

أغلقَ المكالمة، واتَّجه لمنزل أحمد هذه المرة في الطريق لمنزل صديقه، تذكر كل شيء، كيف صارح سما يوم حفل التخرج بحُبِّه لها، هو وجدها مثالية، بل أمًّا مثالية أيضًا لأولاده في المستقبل، الجميع يلاحظ حبها له، تجاهَلَ كثيرًا هذا الأمر لكنه لم يستطع الاستمرار، ظنَّ أنه مع الوقت سيحبها، لكن لم يحدث ذلك.

ساعدته كثيرًا حتى وصل لوظيفته، بل لم تتركه لحظة حين تُوفيت والدته، كل هذه الأسباب كانت كافية، بأن تجعله يقترف الخطأ الأكبر في حياته، الآن فقط يدفع نتيجة ما فعله، يعلم جيدًا أنها لا تستطيع العيش بدونه، هذا ما يزيد الأمر صعوبة.

تذكر للتوِّ تفاصيل حفل التخرج في أثناء سيره.

كانوا قد ارتدوا جميعًا أردية التخرج بما فيه القبعة المميزة للحفل، وكان عمر قد وصل مبكرًا قبل قدوم سما وكذلك أحمد.

انتبهت إحدى الفتيات لوقوف عمر بمفرده في الحفل فسارَعت على الفور لالتقاط صورة تذكارية وهذا أكثر ما سبب الضيق لسما التي ما لبثت أن شاهدت الفتاة بجواره حتى انطلقت مسرعة بعيدًا عن الحفل. لاحَظَ عمر ذلك فاعتذر للفتاة وذهب مسرعًا خلف سما التي أوقفها صوت عمر.

- سما، يا سما قفي؟

أدارت وجهها الذي سيطرت عليه آثار الغيرة ناحيته، فأكمل:

-في إيه، أول ما شوفتيني واقف جريتي ليه؟

-في أن البنت دي مستفزة، هي واقفة بتتصور معاك ليه؟

- طب ودي فيها إيه إحنا زمايل؟

- فيها أني بحب...

وضعت يدها فوق شفتيها على الفور قبل أن تكمل الجملة، ثم قالت:

-أنا شكلي هبلت.

ثم رفعت له يدها وهي تعتذر، وتحركت خطوتين إلى الأمام قبل أن تنهمر دموعها.

هنا تشكّل كل شيء أمام عيني عمر، حديث صديقه بالأمس عن حبها له وأنه يجب على عمر أيضًا أن يتقرب إليها، وكيف تيقّنَ من حبها له اليوم من غيرتها الواضحة، فعلى الرغم أن صديقه أخبره أمس أنها واقعة في حبه فإنه لم يصدق، لم يصدق إلا عندما رأى بنفسه ذلك في عينيها الآن. قربها منه وخوفها الزائد ومساعدته في حياته وأموره الخاصة، كل هذه الأسباب جعلته يتخذ قرارًا سريعًا حتى لا يجرح قلبها، فجرى مُسرعًا خلفها حتى يصارحها هو الآخر ثم أوقفها ونظر في عينيها بحنانٍ بالغٍ قائلًا:

- وأنا كمان بحبك يا سما.

رغم أنه لم يُكنَّ لها حُبًا، ولم يكن لها إلا مشاعر الاحترام والصداقة لها، إلا أنه كان سعيدًا جدًّا عندما لاحظ في عينيها سعادة بالغة حينما صارحها، فهو لم يَعْتَدْ رؤيتها مسرورة كما هي الآن، لم يُلقِ على نفسه

اللوم كثيرًا في هذا الموقف؛ لأنه لم يكن لديه من الحلول غير ذلك الحل خوفًا من جرحها، كما أنه خائف من خسارة صديقته الوحيدة وأيضًا أن تنطفئ الابتسامة المرسومة على وجهها الآن. لذا لا وقت للتراجُع.

استفاقَ مِن شروده بعد أن وصل للتو أمام منزل صديقه، ضغط على زر الاتصال، حتى يخبره بأنه ينتظره، على غير عادته كان أحمد مستيقظًا، أخرج رأسه من نافذة منزله، وأشار لعمر بالصعود، على درجات السلم كان أحمد ينتظره، مرتديًا ثيابه الداخلية فقط، ممسكًا بإحدى يديه (مكنسة)، واليد الأخرى قطعة قماش عليها بعض التراب.

- تعالى، تعالى، وربنا أنت رزقك واسع.

قالها أحمد مازحًا، ثم أكمل:

- ربنا استجاب لدعوتي، وجه حد يساعدني.

أشار لصديقه بالدخول وأغلق الباب، على غير عادته عمر لا يتكلم إطلاقًا.

- مالك يا عمر فيه إيه، وشك مقلوب ليه كده؟

- هحكيلك.

قالها عمر بصوتٍ يملؤه الحزن، ثم نظر حوله يمينًا ويسارًا وأكمل:

- بس قولي الأول، إيه اللي أنت عامله في نفسك وفي الشقة ده؟

جَلَسَ بجسده الثقيل على إحدى المقاعد الموجودة وسط الفوضى العارمة.

- أبويا وأمي وأختي سافروا الصعيد بقالهم أسبوع، والشقة كان منظرها يقرف.

مالَ بجسده جانبًا ناحية (جردل) به ماء، ودفعه أمام عمر.

- همتك معانا يا عم عمر ياللا.

ضحك رغمًا عنه، عفوية أحمد ما زالت كما هي.

همّ بدخول إحدى الغرف وتغيير ملابسه، فاقترب أحمد من باب الغرفة قائلًا:

- على فكرة ما فضلش غير أوضتي المخروبة، اللي أنت بتغير فيها دي.

قالها أحمد بصوتٍ عالٍ منتظرًا أمام باب الغرفة مباشرة، خرج عمر وقد انتهى من تغيير ملابسه.

- طيب مستني إيه، ياللا نخلص منها علشان عايزك في حاجة مهمة.

- لا أنا لازم أنزل أشتري شوية منظفات دلوقتي، علشان نكمل تنضيف وبعدها نتكلم براحتنا.

قالها أحمد ثم توجَّه ناحية الباب مباشرة، فقاطعه عمر مندهشًا:

- انت يا ابني رايح فين؟

- قلت لك لازم أنزل أشتري منظفات، علشان نكمل.

فأشار عمر إلى ملابسه، وتابَعَ مندهشًا:

- هتنزل بالهدوم دي؟

انفجر أحمد في الضحك، وتوجه مسرعًا لارتداء ملابسه الموضوعة على أحد الرفوف، ثم وصل إلى باب شقته مباشرة، فقاطعه صوت عمر:

- على فكرة قبل ما تنزل، سما جاية كمان ساعتين كده في المطار، وهتستنانا فما تتأخرش.

ظهرت على وجه أحمد علامات الاندهاش والخوف معًا.

لكنه سرعان ما ابتسم، حتى لا يلاحظ عمر ذلك، وأشار برأسه بالإيجاب أنه لن يتأخر، ابتسامة تُخفي كل شيء.

ღღღ

استلقى بجسده شاردًا على سرير صديقه، الموجود بالغرفة منتظرًا أن يأتي، لفت نظره عدة روايات، وكتب موضوعة بجوار السرير، فتح أحدها فهو يعشق القراءة كما يعشقها، ما لبث أن فتحه، حتى سمع صوت صديقه أحمد قد أتى.

خرج عمر بيده مجموعة صغيرة من الكتب، وأشار لأحمد قائلًا:

- أبقى فكرني أخد الكتب دي، وأنا مروح عشان أقرأها.

- ماشي بس قولي، هينفع نروح نجيب سما ولا إيه؟

– أه هتبقى لوحدها، أبوها لسه بيخلص حاجة في القاهرة.

انتهيا من عملهما في الشقة، ثم أخذ عمر مجموعة الكتب وخرجَ هو وصديقه، أوقفا سيارة أجرة، ركبا معًا في الكرسي الخلفي.

مال أحمد بجسده نحو صديقه، قائلًا:

– قولي صحيح، أنت عملت إيه في موضوع سارة؟

كان منتظرًا سؤاله، بل كان يتوقعه أسرع من ذلك.

لم يجبْ لثوانٍ قليلة، لا يعرف من أين يبدأ، عيناه تقولان الكثير، لكنه تأكد أنه سيحتاج إلى أيام بل شهور كي يعبر، فما كان منه إلا أن نظر إلى صديقه قائلًا بحزن:

– عادي ما حصلش نصيب.

– إزاي بس، إيه اللي حصل؟

تردَّد كثيرًا، حائرًا بين مصارحة صديقه بالسبب أم يكتمه بداخله، يبدو أنه سيختلق كذبة، فلا مجال للنقاش الآن، نظر أمامه وأكمل:

– أنا وهي تقدر تقول ما اتفقناش مع بعض.

– شفت بقى أنك ما حبتهاش ولا هي حبتك، وإن كان عندي حق.

أوجعته تلك الكلمات، ردود كثيرة تدور داخله، لكنه اكتفى بالصمت الآن، تذكَّر كيف تركها وهي في أشد الحاجة إليه، وكيف تركته، وهي تدرك أنه لا يستطيع العيش بدونها، يعرف جيدًا أن من يريد

شيئًا يفعله، مهما تكن العقبات والمشكلات، لكن الأمر هذه المرة كان شبه مستحيل بالنسبة له، بل يذهب الآن في طريقه لمشاعر مصطنعة، لا يعلم متى ستنتهي؟

تجاهَلَ تمامًا ما قاله أحمد تجاه سارة، ثم استجمع كلماته مجددًا، وأردف قائلًا:

– أحمد أنا عايز أتكلم معاك بخصوص سما المرة دي.

ღღღ

– ناوية على إيه؟

قالها إياد الذي يواصل نظراته لها دون انقطاع، ثم أكمل:

– أنا حاسس بيكِي، بس أنتِ لازم تفكري بالعقل دلوقتي، علشان ما تخسريش كل حاجة.

تنهدت ونظرت إلى السماء، قائلة بصوت يصحبه بعض القلق:

– مش عارفة.

ثم نظرت لعينيه، وأكملت بتحدٍّ:

– بس اللي أنا متأكدة منه، إني مش هسيب حقي.

– أهم حاجة خلي بالك على نفسك، وبلاش تهور.

– ما تقلقش.

ღღღ

- أوعى يا عمر تعمل حاجة زي كده، وحتى لو هتسيبها بلاش دلوقتي.

قالها أحمد محذّرًا صديقه، الذي جلس على أحد المقاعد الموجودة في الاستراحة بالمطار.

- ما تصعبش عليًا الموضوع يا أحمد، أنا فعلًا مش قادر أستمر في الوضع ده.

- حتى لو مش قادر تستمر، بلاش تبقى أناني وتختار الوقت الغلط.

قالها أحمد ثم أشار لصديقه، بأنه سيتوجه ليشتري لسما مفاجأة، ابتعد عن عمر قليلًا، ثم أدار وجهه نحوه ثانية، وأردف قائلًا:

- فكر كده كويس بينك وبين نفسك، هتلاقي أن الوقت ده مش مناسب، علشان تقولها أنك مش هتكمل، فكر فيها ما تبقاش أناني.

سار أحمد وابتعد حتى اختفى تمامًا عن عيني صديقه، لم يكن أمام عمر إلا أن اقتنع بأن ما يقوله صديقه صحيح تمامًا، ولكن هناك شيئًا لا يصدقه، كيف لصديقه الذي يفهمه أكثر من نفسه، ألَّا يشعر بحبه نحو سارة، وحين يتكلم عنها يصر بأنه ليس حبًّا، وعلى النقيض يفعل كل شيء، حتى يجعله فقط قريبًا من سما، بالتأكيد هناك شيء خطأ، هناك شيء يبدو غامضًا.

ღღღ

توجَّه خارج المطار لشراء بعض الحلوى والشوكولاتة، يعلم أحمد جيدًا أنّ سما تعشق هذه الأشياء البسيطة، كالأطفال تمامًا يبتهج قلبه إذا رأى فقط ابتسامتها على وجهها.

شعر ببعض السخونة على وجهه من التعب، فسأل أحد المارة عن مكانٍ به ماء، فتوجَّه نحو المكان مباشرة، ليضع على وجهه الشاحب قليلًا من الماء، وَجَدَ مرآة كبيرة، ظلّ شاردًا أمامها مع وجهه الشاحب من كثرة التفكير.

لم يُبالِ بتعبه، بل لم يشعر به إطلاقًا، الآن كل ما يُؤلمه هو كيف يفعل هذا مع صديقه، يعلم جيدًا أنّ سارة هي من تستحوذ على قلبه، لكنه يتعمد تجاهُل ذلك، (أحمد أنا ما بقتش فعلًا أقدر أستغنى عن عمر، ما أقدرش أعيش من غيره، حتى لو هو ما صارحنيش بحاجة، وجوده جنبي بيديني سبب إني أعيش).

تذكّر كلماتها منذ سنوات مضت، وكيف أنه ساعدهما كثيرًا حتى ارتبطا، إلى متى ستستمر في هذا التجاهُل، يعلم جيدًا أنه لا فائدة مما يفعله، يا ليت عمر يدرك أنّه حياة لها، ليته يدرك أنني أشعر به، لكنني سأتجاهل ذلك، سأتجاهله حتى تبقى هي سعيدة.

ꝏꝏꝏ

نَظَرَ إلى ساعته التي تُشير عقاربها إلى موعد الطائرة تمامًا، اقتربت هي من وصولها، حتى الآن لم يقرر، ماذا سيقول في هذا الموقف السخيف بالنسبة له.

نظر عن يساره إذ بفتاةٍ في عقدها الثاني، تجري بسرعة كبيرة نحوه، تحمل بيديها حقيبتين يبدو عليهما الثقل، لكنها لا تتوقف عن الجري.

أمتار بسيطة تفصل بينها وبينه فقط الآن، ألقت حقائبها على الأرض واحتضنته بشدة، لم تُبالِ بمَن حولها، تعلقت يداها برقبته، وألقت برأسها على كتفه، كغارقٍ في محيط فقد الأمل في النجاة، ومُدت له يَدَ العون فجأة، تتصاعد أنفاسها بشكلٍ سريع، كمن دبَّت فيها الحياة ثانية بعد الموت.

- وحشتني.

قالتها سما، ثم نظرت في عيني عمر المذهولتين، فلأول مرة تفعل هي ذلك، فأكملت قائلة:

- شكلك متغير، عينيك بتقول كده.

ابتسم عمر ناظرًا إلى الأرض، حتى لا تفضحه عيناه:

- لا أبدًا، بس شوية تعب وإرهاق.

- موضوع والدتك لسه مأثر فيك، صح؟

ضمّ عمر شفتيه، وهزّ رأسه بالإيجاب، فأمسكت يده ووضعتها بين يديها، حتى تبثّ له الاطمئنان، ثم نظرت حولها في حيرة:

- أمال فين أحمد؟ ما جبتوش معاك ليه؟

- إحم إحم.

قاطعهما هذا الصوت فجأة، فنظر الاثنان خلفهما، وما زالت هي متشبثة بيد عمر.

- حمد على السلامة يا سماسيمو، نورتي مصر.

ضحكت هي بصوتٍ خفيف وابتسم عمر فقط، فأكملت هي:

- ياه، أنت لسه فاكر الاسم ده، عامل إيه واحشيني كلكم جدًّا.

- والله تمام ومصر كانت ناقصاكِ فعلًا.

قالها أحمد ثم أخرج علبة حلوى صغيرة، وأكمل:

- خدي دي ليكِ، أنا عارف البنات بتحب الحاجات التافهة دي.

اتسعتْ عيناها من الضحك، فأردفت قائلة:

- يخرب بيت الدبش، أنت لسه زي ما أنت ما أتغيرتش.

ضحكوا جميعًا ومضوا في طريقهم خارج المطار، يبدو له أن المشكلة لن تُحل إطلاقًا، بل تزداد تعقيدًا، فكيف له أن يطلب بأن تتوقف عن حبها له، ليس بيده أي شيء، ولا بيدها هي الأخرى أي شيء.

ꝏꝏꝏ

(الشيء الوحيد الذي لا تمتلكه في حياتك هو مشاعرك، هي من تُحركك. جرِّب مثلًا أن تعيش بقرب أحدهم، وأنت لا تكنّ له حبًّا. تقول كلمات معسولة مرارًا وتكرارًا، وقلبك لا يخفق إطلاقًا، حتى ولو كان مثاليًّا، يا لها من سخافة! ألن ينتهي هذا الأمر؟)

تدور هذه الكلمات في ذهنه، ويصاحبها دخان السجائر الكثيف الخارج من فمه، داخل (كافيه) لم يَعتَد الجلوس به حيث كان يتعمد ألا يجلس بكافيه سانتوس حتى لا يُفضح أمره مع سما.

– مالك يا عمر؟ مش هتقولي فيك إيه، حسّاك متغير؟

قالتها سما، وهي ممسكة بيد عمر الشارد تمامًا، فأدار عمر وجهه نحوها، وأجابها بهدوء:

– لا ما فيش، زي ما قولتلك بس موضوع وفاة والدتي مأثر عليَّ.

تركت يديه، وأكملت باهتمام:

– لا فيه، أنا بقالي شهرين من ساعة ما رجعت من السفر، وشايفاك متغير في كل حاجة، أنت عمرك ما كنت بتدخن.

ثم أشارت لجريدة بجانبه وأكملت:

– ولا حتى كنت مهتم بالجرايد، أنت مخبي عني حاجة يا عمر؟

انتبه عمر للجريدة الموجودة بجانبه، والمفتوحة على صفحة (أخبار المجتمع)، فحاول أن يبرر موقفه بابتسامة مصطنعة، ثم أمسك بيدها:

– لا لا يا حبيبتي ما فيش حاجة صدقيني، كل الحكاية بس إني متضايق شوية ومتأثر، بسبب موضوع والدتي، بس أوعدك دي مسألة وقت.

اتسعت عيناها من الفرحة، نسيت كل من حولها، بل كل ما يضايقها، بمجرد أن سمعت الكلمة المفضلة لديها (حبيبتي).

ضمّت يدها الأخرى على يديه وقالت مازحة:

- بقى فيه حد يتضايق ويكشر كده، قبل خطوبته بأسبوع.

ღღღ

- عمر كلمك تاني يا سارة؟

قالتها "مي"، الجالسة باهتمام بجوار صديقتها في مكتب العمل.

- لا بقاله فترة كبيرة قوي ماتصلش ولا حتى بعت رسالة، رغم إني أصلًا ما بردش عليه يعني لما كان بيتصل.

قالتها سارة في حزنٍ، ثم أكملت:

- بس أنا قلبي مقبوض كده، وجايلي إحساس مش عارفة أفسره.

- إحساس إيه مش فاهمة.

لفت انتباههم صوت إحدى زميلاتهما تتوجه لمكتب سارة، فنظرتا إليها باهتمام:

- سارة المدير باعتلك الظرف ده، قبل ما يسافر النهاردة الصبح.

ما لبثت أن فتحته، حتى تسمرت ملامحها من الذهول، تتبادل نظراتها بين الورقتين الموجودتين بداخله والنقود، وبين صديقتها.

لا تصدق ما تقرؤه عيناها، قرأتهما على الأقل ثلاث مرات في ذهولٍ تام.

- في إيه يا بنتي قلقتيني.

تركت سارة الورقتين جانبًا، وأردفت قائلة:

- كنت متوقعة أن ده يحصل، بس مش بالسرعة دي.

ღღღ

- إشمعنى بقى يا سيدى عايز الفرح في التاريخ ده بالذات؟

قالتها سما وهي تفرز مجموعة من البذل الموجودة في أحد المحلات، ثم اختارت إحداها ووضعتها على جسده، وأكملت:

- بيتهيألي دي عليك هتبقى تحفة، وهتبقى لايقة كمان مع فستاني اللي هلبسه.

ابتسم عمر محاولًا إرضاءها دون أن يجيب بكلمة، فوضعت البذلة جانبًا، وأكملت:

- ما قولتليش إشمعنى اخترت اليوم ده؟

- فيه حاجات صدقيني كده بتبقى أجمل لو فضلت مجهولة.

ضمّت شفتيها وأشارت بكتفيها دلالة عدم فهمها، واقتربت منه حتى تلامس جسدها الصغير بجسده.

- مش مهم أعرف ليه، المهم دلوقتي إن خطوبتنا بعد يومين، وحبنا هيظهر للناس في النور، وكلها شهور بسيطة ونبقى أنا وانت في بيت واحد يا حبيبي.

ثم أمسكت يده وأردفت قائلة:

- وأوعدك إني هخليك أسعد إنسان في الدنيا.

كانت كلماتها كرصاصٍ أُطلق عن قرب، يميت على الفور، لا فرصة له للتراجع، الموقف يزداد صعوبة يومًا بعد يوم.

ღღღ

وضعت سارة يدها فوق وجهها غير مصدقة ما قرأته، في حين أن صديقتها مي تقرأ هي الأخرى في ذهولٍ تام، وضعت الأوراق جانبًا، ثم قالتْ في عطفٍ:

- أنا مش عارفة أقولك إيه، أو أساعدك إزاي، حقيقي مش عارفة.

ربتت بيدها على كتف زميلتها، كي تقلل من شأن الصدمة.

- في إيه يا جماعة؟ هو اللي سمعته من شوية ده صحيح؟

قالها إياد ناظرًا نحو "مي"، فأجابت في يأس:

- أه يا إياد، سارة جالها أمر إقالة من شوية.

رفعت سارة رأسها ونظرت تجاه إياد، وأجابت في ضعف:

- الحمد لله على كل شيء، أنا كنت متوقعة ده يحصل من شهرين.

وضع إياد يديه على جانبيه مندهشًا، وأكمل في حماسةٍ:

- بس أكيد فيه محاولات يعني، القرار مش نهائي، سيبوني أكلم المدير لما يرجع.

ابتسمت سارة في سخرية، وأردفت قائلة:

- لا لا ما تتعبش نفسك، القرار جاي من صاحب الجريدة نفسه، والمدير كاتبلي اعتذار، أن مافيش في إيده حاجة، وكمان حاططلي حسابي من الفلوس، علشان ما يبقاش في الموضوع أي كلام، يعني خلاص كل حاجة انتهت.

اقترب إياد الذي يبدو على وجهه الغضب والقلق نحو مكتبها، وأكمل في حيرة:

- طيب وناوية على إيه، طمنينا.

لم تتفوه بأي كلمة، اكتفتْ فقط بالبكاء دون صوت.

حينها أراد إياد ضمّها لجسده، حتى تستمد منه قوة، لا يحب أن يراها ضعيفة، وعلى غير المتوقع، أكمل في حماسة مجددًا:

- إياكِ تتنازلي عن حقك، حتى لو هتخسري أي حاجة، وعايزك تتأكدي أننا كلنا واقفين جنبك.

ثم نظر لـــ"مي"، وأردف:

- خلي بالك منها يا مي وروحيها البيت، وأنا ليَّ سكك هشوفلها وظيفة في أي جريدة تانية.

ثم انصرف عن المكتب، لكن لم تنصرف شجاعته من أمام عينها، شردت بتفكيرها كعادتها، (كيف لي أن أتحمَّل كل هذا، الآن ينتهي هذا المشهد العبثي بعد عمر! لقد افتقدتك حقًا، أنت مخطئ، فأنا لست قوية حتى أتحمل هذا القرار).

نظرت حولها في يأس، منزل خاوٍ منذ وفاة خالها، به قطع أثاث قديمة نسبيًّا، غير مريح نفسيًا بالمرة، يذكرها دائمًا هذا المنزل بمأساتها، إلا أحد الأركان به كتب وأوراق فارغة للكتابة، تجلس به بالساعات لكتابة مقالاتها، بل الرسم أيضًا.

أمسكت بورقة فارغة، وأحد أقلام الرسم الموضوع أمامها، مرت بضع دقائق ترسم شاردة، نصف وجه عابث لذكر في منتصف العشرينيات، كان ما رسمته يبدو أن ملامحه قريبة من قلبها، يشبه كثيرًا عمر بل هو، لكنه الآن يرى بعينٍ واحدة.

ღღღ

(يا بتاع النعناع يا منعنع، يا منعنع، يا منعنع هات هدية للمتدلع، اتدلع، اتدلع).

على نغماتها داخل القاعة يتراقص أحمد أمام سما وعمر، محاولًا جذب عمر من جانب سما، التي لم يَرَها أحد سعيدة مثل ذلك اليوم.

استمر رفض عمر لمحاولاته، لكن مع إصرار الجميع، وخصوصًا سما وافق، فقامت إحدى صديقات سما بجذبها أيضًا، ليتراقص الجميع بجانب عمر، الذي اكتفى فقط بالتصفيق لهما، على وجهه ابتسامة صفراء، وجهه شاحب بعض الشيء.

وضعت قلمها جانبًا، وفتحت الـ **facebook** الخاص بها، ثم فتحت صفحته الشخصية، رأت عدة منشورات من أصدقاء له يهنئونه بالخطوبة

مقدمًا، اتسعت عيناها من الدهشة فجأة غير مصدقة، تكاد تسمع صوت دقات قلبها من الخوف، تركت هاتفها جانبًا من الصدمة، وأمسكت الورقة بيديها الاثنتين، ورفعتها عاليًا أمام عينيها الممتلئتين بالدموع، ثم همست للورقة كأنّه أمامها، (لماذا تفعل بي كلّ هذا؟)

ღღღ

(من المستحيل أنك تبعد حبيب عنك، حبيب لقى منك كل اللي يتمناه، من المستحيل هرب، ارتاح بقى وقرب، أصل اللي بيحبك معرفش كلمة لا، قلبك ماعادش ملكك ما دام عشقتك، قلبك ماعادش ملكك مادام سكنتك).

لم تفعل شيئًا إلا النظر إلى عينيه أثناء تلك الرقصة، لا تريد شيئًا بعد الآن فقط اكتفت به، وضعت رأسها على كتفه، وأغمضت عينيها، أغمضتهما حتى تنفصل عن العالم المحيط بها، ولا يتبقى لها إلا حضنه الذي كان جنة لها، لا تريد الخروج والانفصال عنها، وضعت يديها حول رقبته متعلقة به، كفتاةٍ صغيرة تتعلق بأبيها، ثم همست في أذنه قائلة:

- ده أسعد يوم في حياتي.

(إنه حياة بالنسبة لها.)

ღღღ

ظلّت هكذا بالساعات، حتى فتحت إحدى صوره الموجودة على صفحته بدأت بعتابها، كان هذا آخر ما تتوقعه، (إني أحبُّك، فلمَ كل هذا؟

لَم كل هذا الوجع؟ أستقدر على الحياة من دوني؟ إن كنت تستطيع، فأنا لا أقوى على ذلك.)

بكت بغزارة هذه المرة، تأخذ شهيقًا بصعوبة الآن.

نهضت كي تقف بين يديّ الله، ترجوه أن يخفف عنها ما بها، لتدعو له في صلاتها أيضًا، أو تدعو لهما.

ღღღ

ألقى بجسده المنهك على سريره، بعد هذا اليوم الشاق له، جذب رابطة عنقه للأسفل قليلًا.

ظَلّ عمر بملابسه ممددًا لبعض الدقائق، شاردًا في أمرٍ واحد، كيف فعل كل ذلك؟ وكيف للمنطق أن يكون بهذا الحجم من الغباء؟ تترك من تحبه، لتذهب إلى شخصٍ مثالي يرضى عنه الجميع، أين أنت من كل ذلك؟

يبدو أنه لن يخلد للنوم اليوم بسهولة، مالَ بجسده ناحية الروايات التي استعارها من صديقه، يريد الهروب من واقعه، فليلجأ إلى عالم القراءة الذي يأخذه بعيدًا.

فَتحَ أحد الكتب، لكن لفت انتباهه وجود شيء غريب داخله، شيء يبدو أن صديقه قد غَفَلَ عنه داخل الكتاب.

ღღღ

- أظن كده كل حاجة بقت واضحة زي الشمس، فوقي لنفسك بقى يا سارة.

قالتها "مي" بصوتٍ تصحبه بعض الحماسة في الهاتف، ثم تابعت:

– عمر باعك واختارها، ولو كان عايزك بجد كان عمل المستحيل.

– أيوه بس أنا اللي.........

قاطعتها "مي" التي تبدو غاضبة:

– ما فيش بس خلاص، أنتِ لازم تعرفي قيمة نفسك، بصي حواليكِ واختاري اللي بيحبك بجد، أظن أنتِ فهماني كويس.

عقدت سارة حاجبيها، وتابعت بصوتٍ ممزوج ببعض الحيرة:

– لا مش فاهمة، قصدك إيه؟

– بصراحة كده ومن غير مقدمات كتير، إياد عايز يتقدملك.

– إيه؟ أنتِ بتقولي إيه؟

– والله كلمني النهاردة، أنه عايز يتقدملك، بس خايف ترفضيه، فقالي أجس نبضك الأول.

زادت تلك الجملة ارتباكها، وتثاقلت الكلمات على لسانها، فتابعت بصوتٍ مهزوز:

– أيوه بس أنا ما بحبهوش.

أخرجت مي زفيرها، وتابَعت في هدوء:

– يا سارة أنتِ مش مدية لنفسك فرصة تفتحيله قلبك، أنا عمري ما شوفت راجل في الدنيا دي مخلص، وبيحب بجد زي إياد.

الأمر أصبح لها غير عادل إطلاقًا، أن تختار بين حياتها مع رجل لا تُحبُّه، وأن تبتعد عن رجل قد تملّك منها عِشقُها له، بالضبط كالاختيار بين طريقة الانتحار، شنقًا أو غرقًا أو حتى برصاص، لا تُشكّل فارقًا، فالنهاية واحدة، وهي الموت.

أجابت سارة بصوتٍ مختنق:

– مش عارفة، أنا أول مرة ما بقاش عارفة مصلحتي فين.

– طيب علشان خاطري وافقي، وأديله فرصة، أمال فترة الخطوبة اتعملت ليه بس، وأنا واثقة أنك هتحبيه، لأنه بيموت فيكِي، ها قولتِي إيه؟

....

أخذ عمر يقلّب هذا الشيء يمينًا ويسارًا، تبدو أنها (مذكرة) أو شيئًا يُشبه ذلك، فتح إحدى الصفحات، فوجد عدة أسطر مكتوبة بشكلٍ غير منظم، يبدو أنّ كاتبها أحمد كان مضطربًا بعض الشيء، (قبل حفلة التخرج بيوم، سما قالت لي النهاردة أنها مش بس بتحب عمر، دي ماتقدرش تعيش من غيره، خروج عمر من حياتها، يعني نهاية كل شيء بالنسبة لها، حتى حياتها، أنا لازم أشوف حل للمشكلة دي).

امتلكه شعور بالأسى، حين قرأ تلك الأسطر تذكر المكالمة التي أجراها صديقه قبل الحفل بيوم، المكالمة التي أقنع فيها أحمد صديقه عمر، بأن يدخل حياة ليست له، ولكنه عرف السبب الآن وراء كل ذلك الإصرار، حياة أو موت بالنسبة لها.

كان كافيًا بأن تتجرأ، وتحكي لشابٍّ مثل أحمد كل شيء، زاد فضوله الرهيب حول هذا الشيء بيده، الذي يبدو مليئًا بأسرار لم يعرفها، ففتح صفحة أخرى في سرعة (في اليوم الأغبر ده، عمر قالي أنه مش هيقدر يكمل مع سما، أنا خايف يكون فهم أي حاجة من اللي جوايا، بس أنا عمري ما بينت حاجة).

اتسعتْ عيناه من هول المفاجأة، واعتدل بجسده ثم أكمل قراءتها:

(عمري ما قلت إني بحب سما من أول ما شوفتها أو حتى لّمحت، أنا بعاملها كأنّها أختي، وبكتم أي شعور جوايا، وبحاول على قد ما أقدر أخلق أي فرص ليهم علشان يتكلموا، أنا خايف بجد!

عمر صاحب عمري اللي ما أقدرش استغنى عنه، وممكن أتنازل علشانه بأي حاجة، ما قداميش غير أني أدعيله وأدعيلها، أو أدعي لنفسي، يا رب أنساها).

سَرَتْ قشعريرة غير عادية في جسده، وامتلأت عيناه بالدموع غير مصدق، أيعقل كل هذا؟! كل هذه المحاولات من أحمد كانت وهو واقع في حبها، كيف له أن يتحمل! وكيف لي أن أغفل شيء كهذا؟

أصدر هاتفه صوتًا، فقطع كل تفكيره، انعقد حاجباه في يأسٍ، حين نظر للاسم على الشاشة فوجده (سما خطيبتي)، ضغط على زر المكالمة بعد أن تردد كثيرًا:

– إيه يا حبيبي نمت ولا إيه؟

قالتها بصوتٍ مليء بالسعادة:

– لا أبدًا أنا صاحي، بس تعبان ومرهق شوية.

– لا ألف سلامة، أنا بس اتصلت علشان أقولك، إن النهاردة هو أحسن يوم في حياتي، وهيفضل أسعد يوم لحد يوم جوازنا، اللي أنا بعتبره بداية حياتي كلها.

تنهدتْ ثم أردفت في خجلٍ قائلة:

– أنا بحبك قوي يا عمر.

ღღღ

فتح أحمد باب شقته بحرصٍ، في هذا الوقت المتأخر، حتى لا يراه أحدٌ على حالته هذه، وجهه شاحب وعيناه تائهتان، كمن فَقَدَ جزءًا من جسده فتح باب غرفته، وألقى جسده المنهك بشدة على سريره.

فاضت شلالات دموع من عينه، يصاحبها صوت ضعيف من شدة الوجع في قلبه، ظلّ هكذا حتى سمع صوت أحدهم في المنزل، يقترب من غرفته واعتدل بجسده على الفور، وجفّف الدموع المتساقطة منه في سرعة، أَذِنَ لمن بالخارج بالدخول، تفاجأ بأخته الصغيرة تترقّبه في حنين.

– أحمد أنت كويس؟

ابتسم على الفور حتى لا تُلاحظ، وأجاب:

– أه يا حبيبتي أنا كويس أنتِي إيه اللي مصحيكِي لحد دلوقتي؟

- ما أنت عارف بقى الثانوية العامية وعمايلها.

ضحك هذه المرة، فاقتربت منه وجلست بجانبه:

- أنت ليه ما قولتلهاش من زمان يا أحمد أنك بتحبها؟

نظر بعيدًا عنها، وأكمل في شرود:

- ما كانش ينفع يا هدى، أنتِي لو شوفتي سما بتحبه قد إيه، ما كنتيش قولتي كده.

ثم نظر إليها وأكمل:

- وبعدين أنا أصلًا ما بقدرش أكلمها كلمتين جد على بعض، لازم تلاقيني بهزر في كل حاجة، كنتِ عايزة إزاي أقول إني بحبها.

فربَّت بيده على كتفها مبتسمًا:

- ده أنا أصلًا قدرت أقولك أنتِ بالعافية.

ابتسمت الأخت من طيبة أخيها المتناهية، فحضنته وقبلّت رأسه في حنان:

- عارف يا أحمد أنت لو كل الناس زيك، ماكانش الدنيا بقى حالها كده.

ابتسم لكلماتها الصغيرة، التي أيقظت فيه الحزن مجددًا حين تذكر ما قدمه من تضحيات هل حقًا يفرح لذلك أم يحزن؟ هذا ما يؤلمه.

- أنا مش عارف أوصفلك فرحتي قد إيه لما وافقتي على خطوبتنا.

قالها إياد بعينين لامعتين من شدة الفرحة، ثم نظر حوله يمينًا ويسارًا، وأكمل:

– بس قوليلي الأول أنتِ ليه صممتي نيجي الكافيه ده، وليه الترابيزة دي ؛ طيب ده حتى رقم 13 ده شؤم، ودى أول مقابلة لينا.

لم تبتسم لطريقته الرائعة حتى في المداعبة، فعيناها ما زالتا بهما آثار حزن.

– عادي بس المكان هنا أنا بحبه جدًّا.

ضمّت يديها ووضعتها على الطاولة، وأكملت:

– إياد أنا ليّ طلب صغير بخصوص خطوبتنا، وأرجو أنك تنفذه لأني هبقى مستريحة فيه جدًّا.

– إيه هو؟

– خطوبتنا تبقى في السر.

استند بظهره للخلف ثم ابتسم وأكمل قائلًا:

– عارفة أنا من بعد والدي ووالدتي ما أتوفوا من سنين، حسيت بالحرمان واليتم فعلًا، وخصوصًا إني كنت ابنهم الوحيد، وماكانش ليا أخوات، وأول ما شفتك حسيت إني مش محتاج حاجة من الدنيا، إلا إني أبقى جنبك، ساعتها بس ما حستش باليتم.

اقترب برأسه مجددًا نحوها، وأردف قائلًا:

- سارة أنا حاسس بكل التعب اللي جواكِي، وأنا ما عنديش أي مشكلة إن خطوبتنا تبقى في السر، طالما بسّ هبقى جنبك.

ღღღ

(مع ذاكرتي أُحارِبُ.. آخر معاركي، وفيها لا أَقْبَلُ الهزيمة)

علاء الديب

أمسك رأسه من الألم الشديد، كان معتقدًا بأنّ الأمر سيكون مريحًا له، حين يسترجع ذكرياته تُصيبه راحة مؤقتة، لكن يصاحبها إحساس مؤلم، إحساس العجز.

مرّ كل شيء منذ البداية أمام عينيه، لكنه لا يستطيع أن يُحرِّك ساكنًا، أن تكون عاجزًا عن استرجاع ما فقدته، أو أن تُتاح لك الفرصة في أن تعيش في عالم الماضي، ولو ليومٍ واحد أو حتى لدقائق، تبثّ فيك الحياة مرة أخرى. هكذا تمنى عمر الآن.

- لا يا عريس وصلنا، الكوافير أهو

قالها أحمد مشيرًا للمكان خارجًا، ظلت نظرات عمر خالية من أي حياة، غير مصدق ما يحدث أو أنه كيف وصل لهذه الدرجة من الغباء. خرج الجميع من السيارة، ابتعدوا جميعًا عنها، وظل عمر متسمرًا في مكانه.

استند برأسه إلى أحد الأسوار الموجودة، لفت انتباهه رجل عجوز يمشي ببطء، ممسكًا بيده بعض الأوراق، لكن يبدو عليه التعب، ووجهه شاحب بعض الشيء، أخرج العجوز هاتفه وتكلم بصوتٍ، محاولًا فيه أن يكون قويًا:

- أيوه يا آلاء، أنا لسه خارج من عند الدكتور يا حبيبتي..ما تخافيش، أه طمني، ده مجرد ورم بسيط يعني ما فيش حاجة، مش قولتلك أبوكِي لسه شباب وزى القرد أهو.

ضَحِكَ الرجل ثم أغلق المكالمة،في حين ازداد فضول عمر نحوه، فاقترب منه أكثر وأنصت باهتمام، ضغط الرجل على زر الاتصال مرة ثانية، ووضع الهاتف على أذنه لكن هذه المرة يبدو طبيعيًّا، تملأ وجهه نظرات الخوف:

- أيوه يا عاصم، اللي كنت خايف منه حصل.

صمت قليلًا، ثم أردف باكيًا:

- أه طلع سرطان، بس علشان خاطري ما تقولش لحد نهائي، خليني أعيش وسطهم الكام يوم اللي فاضلين لىّ، وأنا مش شايف في عينهم نظرة خوف أو ضعف، إحنا مش بنعيش إلا مرة واحدة، فخليني أعيش معاهم وجنبهم، وهما مبسوطين ومش خايفين.

اندهش عمر مما سمعه، وظلّ يتبع الرجل حتى انصرف جسده الضعيف بعيدًا، (إحنا مش بنعيش إلا مرة واحدة)، أن تُقال جملة كهذه في وقت كهذا! شعر أنها موجهة إليه كليًّا، هو لا يؤمن بالمصادفات إطلاقًا، بل ليس لها مكان في تفكيره (رسالة موجهة إليك أيها الأحمق، ألن تستفيق بعد؟)

ლლლ

أصدر هاتفها صوتًا في أثناء جلوسها بالسيارة، رسالة نصية قادمة إليها: (سارة أنا عارف أنك شيفاني أزبل إنسان في الدنيا، بس أنا مش كده، صدقيني أنا عمري ما نسيت أي حاجة أو تفصيلة بينا، وعلى فكرة أنا اخترت يوم جوازي يكون في ذكرى اليوم اللّي سيبنا فيه بعض، علشان أفضل طول عمري حاسس بالذنب وأنا مع حد غيرك، سامحيني.)

ارتعشت يداها، وتحركت عيناها يمينًا ويسارًا من الحيرة، لم تكن عيناها تصدقان ما تقرآنه، أهذه حقًا النهاية؟

- فيه حاجة ولا إيه؟

قالها إياد في أثناء قيادته للسيارة موجهًا بصره نحوها، ثم نظر أمامه مجددًا، نظرت له وقالت في ارتباك:

- لا لا ما فيش دي رسالة من "مي".

- إيه مالها "مي"؟

- لا ما فيش بتتطمن عليّ عادي.

صمتت ونظرت للرسالة مرة أخرى، ثم أغلقت هاتفها وأردفت قائلة:

- إحنا قربنا من الكافيه، صح؟

ლლლ

جرى عمر مسرعًا نحو سيارته، كمن استفاق من غيبوبة دامت سنواتٍ طويلة، أخرج شيئًا منها، ووضعه داخل صندوق صغير قديم بعض الشيء، ثم أمسك بأحد الأقلام، وكتب شيئًا على ورقة بيضاء، ووضعها أيضًا داخل الصندوق، ثم اقترب عمر من أحمد، وهمس قائلًا:

– أنا كنت محضر حاجة لسما، وعايزك تديهالها جوه، قبل ما تطلع من الكوافير.

ضحك أحمد ساخرًا:

– إزاي يا سيدي، عايزني مثلًا أدخلها جوه الكوافير وسط البنات والزحمة دي، أصبر لحد القاعة وأبقى إديهالها.

فأشار إليه عمر وأكمل بجدية:

– معلش الهدية دى ما تستناش، وبعدين يا عم إديها لأي بنت بره توصلهالها.

أخذها منه أحمد، ثم مضى في طريقه.

نظر عمر يمينًا ويسارًا حتى يطمئن، ثم فتح باب السيارة في حرصٍ تامٍّ، أدار مُحرك السيارة وتحرك بها فجأة، وسط نظرات أصدقائه المندهشين، خاصة أحمد، الذي أعطى الهدية الفتاةَ بسرعة، بمجرد أن رأى السيارة تتحرك، وحاول أن يجري بجسده السمين نحوها، لكنها انطلقت على الفور بسرعة مذهلة، وسط اندهاش الجميع.

ღღღ

اقتربت إحدى صديقات سما المقربات منها، ووضعت يديها الاثنتين على كتفيها، وقالت:

- ما شاء الله قمر يا حبيبتي، والطرحة دي عليكِ جميلة قوي.

ابتسمت سما وأجابت:

- عمر يا ستي صمم إني أفضل بالطرحة في الفرح وإني.....

- سما إلحقي إلحقي، عمر بعتلك هدية.

قاطعهنَّ ذلك الصوت، فنظرت سما للصندوق بيدي إحدى صديقاتها في شغفٍ، فتحته فوجدت ورقةً وشيئًا صغيرًا آخر، فتحت الورقة وعلى وجهها ابتسامة متطلعة..

(أنا آسف يا سما، بس أنا فعلًا مش هقدر أكمل، والسبب أكبر من وجود مشاعر جوايا ليكِ أو لا، تحت الورقة دي هتلاقي مذكرة صغيرة بتاعة أحمد صاحبي، وقعت في أيدي بالصدفة، واكتشفت فيها يوم خطوبتنا، أن أحمد بيحبك من سنين طويلة، سامحيني بس أنا عمري ما هقدر أكمل معاكِ، وأنا حاسس أن صاحب عمري موجوع بسببي وبسببك، كان نفسي تبقى النهاية بطريقة أحسن من كده، بس أنا فعلًا ما قدرتش أواجهك).

اختفت الابتسامة تدريجيًّا أثناء قراءتها، حتى تحولت لصدمة أو كابوس تتمنى بأن تستفيق منه، فتحت إحدى صفحات (المذكرة)، تقرأ أسطرًا عشوائية غير مصدقة ما تقرؤه، يبدو أنه ليس كابوسًا بل واقعًا.

توجهت ناحية الباب مسرعة، أعاقها فستانها من التحرك بشكلٍ طبيعي.

بحثت بعينيها عن عمر، لا أثر له، اقتربت من أحد أصدقائه، وقالت بفزع:

- عمر فين؟

- عمر دور العربية وطلع بيها بسرعة، وما حدش عارف راح فين.

- طيب وأحمد؟

- أخد عربية واحد صاحبنا وطلع وراه.

اختلطت دموعها بمساحيق التجميل على وجهها، وسكن اليأس قلبها، فنظرت لأعلى تُناجي ربها، (يا ليته يدرك بأنه أكثر من حب وزواج لي، أنه حياة بأكملها).

....

مضى في طريقه بسرعة مذهلة بالسيارة، وعلى وجهه آثار للراحة، حتى لو لم يكن ما يفعله صحيحًا، يكفيه ما يشعر به الآن.

أشهر سابقة منذ بداية الخطوبة، يحاول أن يتغلب على حنينه إليها بلا أي فائدة، يرتجف قلبه من الشوق إليها، كما كان في أول لقاء لهما بل أكثر، فكيف سيعيش ويبني حياة مع غيرها! وهو يرى فيها كل حياته.

وصل أمام منزلها، ثم خرج من سيارته.

سأل حارس العقار عن مكان شقتها، فأجابه بأنها خارج المنزل طول اليوم، انصرف عمر بعيدًا عن المنزل في يأس، لم تكن ضمن عاداتها الخروج في هذا الوقت المتأخر، إلى أين ذهبت إذًا؟

(الكافيه)

خطرت تلك الفكرة في عقله فجأة، آخر أمل يتشبث به، لعلّها فكرة سيئة من الأساس، فكيف لها أن تذهب لمكانٍ يذكّرها به، لكن لا وقت للتفكير الآن، لعلّ هذه الفكرة هي طريق لرؤيتها، انطلق مجددًا بسيارته نحو المكان الذي ولد فيه كل شيء، تصاحبه علامات القلق على وجهه الآن، التي لا يعلم سببها.

يبدو له أن شيئًا مريبًا سيحدث، فإحساسه وظنه لا يخيب أبدًا، لكنه على أية حال، انطلق.

ღღღ

– سارة هو أنا برده هبقى بضايقك، لو حبيت أعرف ليه كل مرة بنتقابل هنا في نفس الكافيه؟ وبنقعد في نفس الترابيزة؟

قالها إياد الذي يبدو أكثر جدية وصرامة هذه المرة، ثم أكمل:

– مش هتفتحيلي قلبك وتتكلمي بقى؟

– أنا مش بخبي عليك حاجة، علشان أفتح قلبي دلوقتي، بس زي ما قولتلك قبل كده، كل حاجة لما بتيجي وقتها بتبقى أحسن.

قالتها سارة، ثم أكملت متسائلة:

– أنت ليه ما سألتش نفسك، إيه السبب الحقيقي اللي خلاني أصمم أن خطوبتنا تبقى في السر؟

ضمّ حاجبيه في حيرة، ثم قال:

– علشان أنتِ بتمري بظروف مش كويسة.

ابتسمت في سخرية، محركة رأسها يمينًا ويسارًا بالنفي، وأكملت:

– لا، علشانك أنت.

– مش فاهم.

أغمضت عينيها من شدة الألم، ثم أردفت قائلة:

– هحكيلك

ღღღ

وصل أمام المكان مباشرة. قلبه يرتعد من الخوف، يكاد يسمع دقات قلبه المتسارعة، يخطو خطوة ويرجع عشرًا إلى الخلف، صعد السلالم ببطء واقترب من الباب حتى يتغلب على خوفه، ظل واقفًا دقائق، يُقلِّبُ نظره يمينًا ويسارًا بين الطاولات، نظر إلى الطاولة الخاصة بهما، ارتجف قلبه حين رأى وجهها، كمن دبّت فيه الحياة مُجددًا، لكن لم يلبث أن يهنأ، حتى وجد شابًا يجلس في نفس المكان بدلًا منه، نار بداخله اشتعلت، اتسعت عيناه من الخوف والغيرة معًا، ظلت عيناه ثابتتين لا تتحركان عن الطاولة،

(من هذا الشخص؟ هل حقًا نسيت كل شيء؟ هل تتكلم معه مثلما كانت معي؟ هل؟ وهل؟ وهل؟)

دارت كل الأسئلة في عقله، الذي أصبح مشلولًا عن التفكير، ظل ثابتًا في مكانه دقائق، لا يتحرك له ساكن، لا يدري ما الصحيح الآن، هل يُعاتب أم يرحل؟

(من هذا الشخص؟)

ღღღ

– أنا أسفة،بس أنا إديت لنفسي فرصة، علشان أنسى عمر وأفتحلك قلبي ما قدرتش، علشان كده بعد ما حكيتلك كل حاجة دلوقتي، أتمنى أنك تقدّر موقفي.

قالتها سارة ثم أخذت شهيقًا بصعوبة، وأخرجت جوازًا للسفر من حقيبتها.

– دي تأشيرة جاتلي من الإمارات، والسفر بكرة الصبح، هشتغل هناك وهستقر، وما أعتقدش إني ممكن أرجع مصر تاني.

ضمّ إياد شفتيه في انكسار قائلًا:

– يعني أنتِ بتطلبي إننا ننهي خطوبتنا.

صمتت ونظرت جانبًا، يريد أن يترجاها أن تبقى بجانبه، لكن كبرياءه تمنعه، اقترب عمر ببطء شديد نحو الطاولة، حتى تسنّى له رؤية عينيها عن

قُرب، اهتز جسدها من المفاجأة حينما رأته، تتنقل نظراتها بينه وبين إياد، انتبه إياد لذلك الشاب الأنيق ذي البذلة السوداء.

- إزيك يا سارة.

قالها ثم مَدَّ يده لتحية إياد الذي كان متعجبًا، تلعثمت الكلمات على لسانها، تتنقل نظراتها بينهما مجددًا، لم يعد هناك مجال للخوف الآن، فقد انتهى كل شيء.

أشارت ناحية عمر:

- ده عمر الكاتب اللي حكيتلك عنه.

ثم أشارت بيدها الأخرى ناحية إياد:

- وده إياد.

فابتسم له عمر ورحّب به، فأكملت في سرعة:

- خطيبي.

رَمَقَها عمر حينها بنظرة أرعبتها، في حين ظل إياد متعجبًا في مكانه كما هو.

منذ لحظات تريد الانفصال، والآن تقول عكس ذلك.

شعر عمر بحرارة ونار أشعلتها سارة داخله، فأشار إلى إياد مرة أخرى بالتحية، ثم نظر لسارة وأكمل:

- عرفتي ليه بقى أنا سبت نهاية الرواية اللي كتبتها مفتوحة، صح؟

عيناها أصبحتا تائهتين، فَهِمَتْ أنه كان على يقين، أن ذلك حتمًا سيحدث في النهاية، شعرت بدوار خفيف، فجلست على الفور على الكرسي بجانبها، فنظر هو على الفور لإياد مهنئًا إياه بالخطوبة، وأشار إليهما مستأذنًا بالانصراف، انصرف بجسده عن عينيها اللتين تُراقبانه في صمت.

انتزعت خاتم خطوبتهما في قوة، ووضعته أمام إياد، ثم أردفت باكية:

– أنا آسفة للمرة الأخيرة عن اللي حصل مني، بس أنا عمري ما هظلم نفسي تاني مع حد، ولا برده هظلم حد معايا، أشوف وشك بخير.

ღღღ

سار بغضب عارم نحو سيارته، انطلق بها إلى المجهول بسرعة مجنونة، يتخطى كل السيارات أمامه يمينًا ويسارًا، (صدقني أنت محتاج تخرج بس من دوامة المجتمع ده، وساعتها هتعرف أنا قصدي إيه)

فهم ما كانت تعنيه الآن، جاء متأخرًا كعادته، فهم أنه كان أشبه بالعرائس الخشبية التي يحركها المجتمع حسب تقاليدها المتخلفة، كانت أمامه الفرصة وتركها من البداية.

أكان كل هذا بسبب عاداتهم؟ إنها حياتك أنت أيها الأحمق، زاد من سرعته حتى أشار مؤشر عداد السرعة لآخره، (الآن أنت خسرت كل شيء، فلا فارق إن خسرت حياتك أيضًا.)

تحرَّك يمينًا ويسارًا بين السيارات مرة أخرى، سيارة نقل كبيرة قادمة في الاتجاه المقابل له، حاولَ أن يتفادى ويبتعد عنها، نَجَحَ أن يتخطى السيارة، فابتسم للقدر محاولًا مرة أخرى، (الآن أنت خسرت كل شيء، فلا فارق إن خسرت حياتك أيضًا.).

تحرَّك بشكل أكثر جنونًا هذه المرة، لَمَحَ بطرف عينيه سيارة قادمة من شارع جانبي، حاول مسرعًا أن يتفادى ذلك، اصطدمت السيارة به هذه المرة، فانقلبت سيارته مرتين في الهواء، حتى سقطت على الأرض وتهشَّم رأسه، وتهشم معه ما بها.

ღღღ

صباح اليوم التالي..

يقف صديقه ببذلته المتلطخة بالدماء داخل ردهة المشفى، بجانبه فتاة ترتدي فستان الزفاف، اختلطت الدموع على وجهها بمساحيق التجميل، حتى اختفت تمامًا، خرج الطبيب أمامهما من غرفة العناية، فأسرعا إليه على الفور.

– طمني يا دكتور على عمر، أرجوك.

قالها أحمد بصوت مليء بالقلق، فابتسم الطبيب وأجاب:

– عمر عايش وكويس الحمد لله.

ثم تحرَّك الطبيب خطوتين للأمام، وأكمل:

– بس الحادثة دي ممكن تسيب أثر لفترات كبيرة قوي في حياته

اقتربت سما منه قائلة:

- هتسيب أثر إزاي طمنا؟

- قبل ما ننقله من العناية لأوضته بعد العملية، كان فايق شوية وللأسف فيه اشتباه إن جاله فقدان ذاكرة كلي، بس ده مش أكيد، لما يفوق من البنج هنتأكد أكتر.

ظهرت نظرات القلق على سما وأحمد، فأدار أحمد وجهه مجددًا ناحية الطبيب:

- طيب إحنا ممكن ندخل نشوفه يا دكتور.

- ساعات بسيطة وتقدروا تشوفوه ما تقلقوش، حمد الله على سلامته.

ღღღ

اقتربت ببطء ناحية مكتب ختم جوازات السفر، تذكرت في تلك اللحظة كل ما حدث لها في مصر، منذ الحادثة اللعينة حتى الفراق الأصعب في حياتها، نظرت إلى جواز السفر في يأس، ووضعته أمام الموظفة، كان صوت الختَّامة بيد الموظفة كطلقة رحمة لها، فقد أُذِنَ لها بالهروب الآن، الهروب من مجتمعٍ مُغتصِبٍ بأكمله. تحركت ناحية سلم الطائرة وصعدته ببطء، كل درجة من درجات السلم تذكرها بمحنة قد اجتازتها، المحن التي تزيدها قوة وصلابة، حتى وصلت لنهاية السلم، فنظرت خلفها مبتسمة بقوة كعادتها، ثم أدارت وجهها ناحية مدخل الطائرة مجددًا.

- نتمنى لك رحلة سعيدة يا أفندم.

راقدًا على سريرٍ أبيض، مُغمضًا عينيه من شدة الألم، محاولًا أن يحرك أصابع يده في يأس، باءت محاولته بالفشل، انتبهت الفتاة الجالسة بجواره لتلك المحاولة، فاقتربت منه وشبكت أصابعها بين يديه وبكت غير مصدقة، بعد أن نظرت لصديقه في سعادة.

حرك عينيه المغمضتين يمينًا ويسارًا، وحاول أن يفتحهما ببطء، لم يَرَ شيئًا في البداية، يبدو أمامه جسدان دون معالم واضحة، حتى اتضحت له الصورة، نظر للرجل ذي الوجه البشوش بجانبه، ثم نظر ليده التي تتعلق بها الفتاة.

- إنتوا مين؟

ابتسمت سما ووضعت يدها الأخرى فوق يديه كعادتها، ثم قالت:

- حمد الله على السلامة الأول بس.

لم يفهم شيئًا، ولا يدري ما الذي جاء به إلى هنا؟

لكن يبدو له أن الرجل والفتاة أمامه، يُكنّان له الكثير من الحبّ.

ارتسمت على وجهه علامات الراحة، وتنقّلت نظراته بين أعينهما، حتى استقر في عينيها الممتلئتين شوقًا، وشبّك أصابعه بيدها هو الآخر، وابتسم.

نهاية الجزء الأول

كانت الإضاءة خافتة جدًّا حولها؛ فلا تستطع أن ترى حتى أصابع يدها ولا أن تُحدد كم مَرَّ من الوقت على اختطافها ووضعها في ذلك المكان المظلم، حرَّكت قدمها اليسرى للأمام بعد أن شعرت بألم يعتري عظامها، فسمعت صوتًا لقطع حديد صغيرة تزحزح بعيدًا، وهذا يعني أنها داخل مبنى مهجور، أرجعت رأسها للخلف وحاولت أن تتذكر آخر ما حدث لها قبل أن تأتيَ إلى هنا.

آخر ما تذكرته هو توقف سيارة سوداء كبيرة أمامها وأكثر من يد ضخمة قد امتدت لتلتف حول جسدها الصغير وتُلقيها بقوة داخل السيارة ولم تمر ثوانٍ حينها حتى فقدت الوعي تمامًا.

تسمع الآن فجأة صوتًا لعواء مجموعة من الكلاب على بُعد عشرات الأمتار منها خارج المبنى المظلم الذي كانت مختطفة به فارتعد جسدها من الخوف.

أخذت شهيقًا قويًّا تلاه شلالات من الدموع، لكنها توقفت عن البكاء فجأة عندما سمعت صوت أقدام تتجه ناحية الغرفة المغلقة التي كانت بها، حتى وإن كانت هذه الأصوات صادرة من مختطفيها فهذا قد أسعدها وجعلها تشعر بالحياة مجددًا.

فُتح باب أمامها مباشرة بقوة فوجدت إضاءة خفيفة قد بعثت داخل الغرفة يصحبها دخول شابين، أحدهما يلتفت يمينًا ويسارًا بحثًا عنها، والآخر كان يحاول إخراج هاتفه ليُضيء كشافه داخل الغرفة المعتمة، بالتأكيد هما يبحثان عنها.

هدأت أنفاسها قليلًا وتمالكت أعصابها فلو أنهما كانا المختطفان لها لما بحثا بهذه الطريقة، اجمعت قواها التي خارت كي تنطق وتدلهم على مكانها.

وما لبثت أن تتكلم حتى صعقت واتسعت عيناها من الخوف مجددًا عندما وجدت شابًا ثالثًا لم تحدد ملامحه أيضًا، وقف خلفهما وأشهر مسدسه في ظهريهما، مما جعلهما يتوقفان عن الحركة، ثم قال هذا الشاب الثالث في سخرية:

- وفرتوا عليا كتير والله.

حرَّك فوهة مسدسه بين جسديهما لتلامس الشابين من ظهريهما ثم أردف قائلًا:

- مين فيكم إياد؟

***

فتحت الحاسوب الخاص بها وبدأت في العمل بعد أن فتحت محرك البحث (جوجل).

كتبت بعض الكلمات به. ثم ضغطت على زر البحث.

وَقَفَ أمامها النادل الذي يعمل بالمطعم ثم قال بلكنة خليجية موجها حديثه لها:

- أستاذة سارة شو الأخبار؟

- تمام يا عبد الله، الحمد لله.

أجابته وهي تبتسم.

- أجيبلك المشروب بتاع كل يوم زي ما بتقولوا بالمصري.

ضحكت بصوت هادئ ثم أبدت موافقتها، فرَحَلَ بعيدًا عنها. اكملت النظر إلى حاسوبها قبل أن تكتب مُجددًا: (حقوق المرأة).

جمعت بعض المعلومات التي قد تساعدها في التحضير لأكبر مؤتمر دولي يهتم بحقوق المرأة والذي سيقام بالإمارات.

أغلقت نافذة البحث فجأة رغم أنها لم تنتهِ بعد. ثم فتحت ال_facebook الخاص بها.

لم تكتب شيئًا في نافذة البحث لأنها قد بحثت من قبل عن مرادها اختارت اسم omar saeed من بين عدة أسماء قد قامت بالبحث عنها من قبل.

لم تَرَ شيئًا جديدًا، شهور عديدة قد مرت ولم يكتب فيها عمر حرفًا واحدًا.

زاد القلق على وجهها بعد أن سكن الألم مُجددًا محل قلبها. فشردت قليلًا وتساءلت:

(ماذا حدث له بعد ان رحل من الكافيه غاضبًا؟)

قلبها يخبرها أن هناك أمورًا ما قد حدثت، وسط شرودها التام أمام صفحته الشخصية تفاجأت أن لون صندوق الرسائل أصبح أحمر. فتحت الرسالة فوجدتها من (إياد حسني) وبها كلمات صغيرة:

- أنا مبقتش عارف ده حقي ولا إني اتطمن عليكي. اتمنى تكوني بخير.

أغلقت نافذة الرسائل على الفور بعد أن حرصت على عدم قراءتها. تعجبت ودار في عقلها سؤال. لما تذكّرها بعد كل هذه الشهور؟

استفاقت من شُرودها هذه المرة على صوت الألعاب النارية التي أحاطت ببرج خليفة العملاق فنظرت عبر النافذة الموجودة خلفها لترى جملة:

(happy_new year)

قد كُتبت على البرج بألوان قد أثارت دهشتها. وجعلتها محدقة بها دقائق.

امتلأت عيناها بالدموع التي لم تَسِلْ بعد حينما تذكرت أنها ليست معه في هذا اليوم.

كم كانت تتمنى في هذه اللحظة أنه لو عاد بها الوقت لكانت تُعطيه فرصة أخرى.

لم تمر ثوانٍ قليلة حتى ظهرت الكبرياء مُجددًا على وجهها.

سُحقًا له! فقد يكون هو ما وراء ما يحدث لها الآن.

خطر في عقلها أمر ما وطريقة جديدة قد تأتي بثمارها، فاستدارت في سرعة ناحية الحاسوب ثم ضغطت على قائمة الأصدقاء لديه، ظلت تبحث عن اسمها كثيرًا حتى وجدته.

(sama anwer)، فتحت صفحتها الشخصية لتبحث عن أمر ما قد يمنحها بعض الراحة، لم تلبث أن فتحت صفحتها ورأت ما رأته حتى رجعت بجسدها للخلف ووضعت يدها فوق فمها غير مُصدِّقة.

سالت دموعها هذه المرة بغزارة واحمرَّ وجهها حتى أنها سمعت النادل بجوارها يقول:

- أستاذة سارة، إنتي بخير؟

لم يكن من الصعب عليه قط أن يفقد ذاكرته وهو في منتصف العمر.

بل الصعب أن يفقد أيضًا قدرته على السير. فقط يلازم هذا الكرسي اللعين.

دارت في مُخيلته كل هذه الهواجس والأفكار فجأة. جعلت عينيه مليئتين بالحزن وهو يحرك بقبضة يده الكرسي للأمام تاركًا منزله وراءه.

منذ شهور وهو هنا، لا يتذكر شيئا إلا زواجه بهذه الفتاة بعد خروجه من المشفى مباشرة، وإصرار والده العجيب على إتمام هذه الزيجة،

وإصرارها الأكبر على السفر بعد الزواج مباشرة كي يتم علاجه الطبيعي هناك.

أغمض عينيه، ثم أخذ نفسًا عميقًا ليداعب أنفه هواء باريس البارد الذي لم يُرِحْ صدره. شهور قد مرت على وجوده هنا في باريس منذ تلك الحادثة الأليمة.

شعر بدفء على كتفه اليسرى فالتفت إلى الخلف فوجد وجهها الملائكي الرقيق الذي يزينه شعرها الأسود الطويل.

قطعت هي صمته قائلة:

- اللي واخد عقلك.

- مفيش.

قالها بعد أن ابتسم مجاملًا إياها، فجلست على الأرض واستندت بركبتيها أمامه، ثم أمسكت يده الباردة التي كان يضعها على عجلة الكرسي المتحرك ثم قالت في اهتمام:

- هتخبي على سما برده؟

- الدكتور قالك إن مفيش فايدة برده صح؟

- يا حبيبي هون على نفسك. هو لسة مأكدلي حالًا إن كل شيء هيجي بالوقت. وإنك في مرحلة متقدمة من العلاج وجسمك بيستجيب الحمد لله؛ يعني انت قربت إنك...

- وحتى لو مشيت على رجلي فانا برده عاجز ولا انتي ناسية إني مش فاكر حاجة.

قاطعها في يأس ثم أكمل مُجددًا:

- حتى انتي أنا مش فاكرك.

ارتعد قلبها من الخوف حينما تذكرت تفاصيل يوم زفافهما، ولكنها حاولت أن تُبدل ملامحها لتبث داخل روحها الثقة وله أيضًا، ثم قالت:

- حتى لو انت مش فاكرني ده ميهمنيش. المهم إني فاكراك وعارفة ومتأكدة إنك بتحبني زي ما بحبك.

هدّأت كلماتها من روعه قليلًا. فأردفت قائلة في سعادة وهي تُحرك كرسيه للداخل:

- تعالى بس نتغدى الأول متضيعش وقت. ومحضرالك حاجة كده بعدها أنا واثقة إنها هتعجبك.

***

أومأت برأسها للنادل أنها بخير، ثم فتحت الصورة التي وجدتها على الصفحة الخاصة بسما فوجدت عمر عاجزًا على كرسي متحرك وتقف خلفه صاحبة الصفحة سما؛ وضعت تركيزها كله على عينيه لتحدد هل هو بخير أم لا؟

فلم تجد ابتسامته المعتادة؛ تحركت بعينيها ناحية يده اليسرى فوجدت خاتم الزواج بيده كما لاحظت وجوده في يد الفتاة؛ نادت النادل وطلبت منه كشف الحساب وهي تُلملم أغراضها بعشوائية ناتجة عن غضبها.

توقفت عن حركتها العشوائية اندهاشًا من غيرتها وخوفها غير المبررين عليه.

شردت قليلًا عن السبب؛ فهي لا تعلم هل كان سبب غضبها هو ما حدث لعمر وإصابته التي لم تعلم عنها شيئًا، أم لوجود فتاة أخرى في حياته الآن وعدم وجودها بجانبه في تلك المحنة؟

مئات الأفكار تدور داخل رأسها.

(فكيف أنها هي من طلبت السفر ورحلت بعيدًا؛ والآن هي نادمة على ذلك؟)

شعرت أنها قد لا تهتم بإصابته بمكروه أو حتى وجوده بين الحياة والموت إذا ما كانت هناك أنثى أخرى بجانبه، هذا خطأ لن يُغفر تمامًا، ولن يُنسى.

فكّرت قليلًا مجددًا، وهذا التفكير ألقى الفزع داخلها خوفًا من أن تكون هي السبب وراء ما حدث له، زاد فضولها، فبحثت عن صديقه أحمد الذي أخبرها الكثير عنه.

وجدت الإيميل الخاص به بسهولة حيث كانا قد تشاركا العديد من التعليقات والصور، فتحت نافذة المحادثة الخاصة به ثم وقفت أمامها لتفكر

قليلًا في هذه الخطوة وتَبعاتها، وهل هي على صواب أم لا كونها تفتح صفحة الماضي مُجددا؟

ضغطت على الحروف بسرعة كي تتغلب على تردُّدها:

(أستاذ أحمد، ممكن دقيقة من وقتك؟ أنا سارة.)

ضغطت على زر الإرسال، لكنها لم تجده متصلًا فأغلقت حاسوبها ووضعت هاتفها الذي كان على المنضدة داخل حقيبتها ثم وضعت نقودًا داخل دفتر الحساب ورحلت بعيدًا عن الكافيه...

دلفا معًا إلى داخل شقتهم الصغيرة، ساعدته حتى نهض من فوق المقعد المتحرك ليجلس على مائدة الطعام التي كانت لها لون بُني فاتح ومزينة بأضواء الشموع التي وضعت فوقها وأضافت للغرفة أجواءً رومانسية.

وضعت أمامه جزءًا من طعام قد أعدته هي بنفسها؛ أثنى عليها ثم وجَّه بصره ناحية الطبق أمامه وظَلّ شاردًا. كانت تتناول قطعة صغيرة من الطعام، ولكن أوقفها هذا الشرود، فحاولت أن تُغير مجرى الحديث قائلة:

- مش باباك كلمني النهاردة الصبح.

وجَّه بصره ناحيتها دون أن يتحدث، فأكملت وهي تُبرر:

- كنت نايم، مرضتش أصحيك.

تحرَّكت من فوق المقعد المقابل له على المنضدة وجلست بجواره مباشرة ثم تابَعت:

-أنا عارفة إنك عايز ترجع مصر.

ابتسمت وهي مرتبكة وأشارت ناحية صندوق ورقي صغير مزين بأوراق ملونة وكان موضوعًا على حافة المائدة ثم أكملت:

– طب افتح الصندوق عاملالك مفاجأة.

مالَ عمر بجسده حتى جذب أطراف الصندوق وفتحه، وجد ورقتين فنظر داخل عينيها ليستفهم عنهما فقالت:

– دول يا حبيبي تذكرتين لمصر، حجزتهم بعد بكرة.

ثم مسحت على شعره في عطف وأكملت:

– أنا المهم عندي تبقى مرتاح.

ابتسم على الفور ليس فقط لسعادته الكبيرة بسبب عودته لمصر ولكن لأنها في الشهور القليلة الماضية كانت تحرص على إرضائه ودائمًا ما تخدمه دون نفورٍ أو ملل وتتحمل تقلُّباته المزاجية الناتجة عن عجزه.

قبَّل جبينها فأغمضت عينيها من السعادة، ثم نهضت وجلست على المقعد المقابل له مُجددًا لتُكمل طعامها، بدأ هو في التهام الطعام في نشوةٍ ثم قال وهو يمضغه:

–سما ؛ مش خطوبتنا اللي انتي حكتيلي عنها دي متسجلة فيديو.

توقفت عن الأكل واتسعت عيناها من الخوف، كما أن قلبها زادت سرعة دقاته حيث دار في عقلها كل ما حدث لا سيما السبب الرئيسي وراء هروبه يوم زفافه.

خافت أن يتذكر كل شيء.

حاولت أن تتماسَك فأومأت برأسها قائلة:

– أه، ليه؟

– عايز أشوفه.

***

انتهت سارة من يومها الشاق الذي قضته في التحضير للمؤتمر الذي سيُعقد غدًا. فتحت باب غرفتها بالفندق فوجدت صديقتها هدير التي تعمل معها بنفس الجريدة مستيقظة، ألقت عليها التحية ثم ألقت حقيبتها الثقيلة جانبًا من التعب، ورقدت على السرير المجاور لها، اقتربت منها هدير التي كانت في بداية عقدها الثالث، ثم قالت:

– خلصتي يا سارة اللي وراكي، ولا محتاجة مساعدة مني؟

– أه يا حبيبتي خَلصت وخِلصت.

نهضت هدير من فوق سريرها ثم جلست بجوار سارة، وقالت وهي تجمع شعرها الأسمر القصير إلى الخلف بيديها الاثنتين:

– مش عارفة يا سارة إيه اللي غصبك تتمرمطي برة بلدك، ما تقريبًا كنتي بتاخدي نفس المرتب في مصر، واسمك في بلدك.

لم تُجبِها سارة فقط طمأنتها أنها بخير وأنها راضية عن قرارها، لم تكن هدير تعلم شيئًا عن حادثتها ولا عن ماضيها سوى أنها صحفية وكانت تعمل بجريدة خاصة مصرية. ظلتا تتحدثان دقائق عن العمل والمؤتمر المهم الذي سيُعقد صباح اليوم التالي تارة وتارة أخرى تمزحان.

تثاءبت سارة فتركتها هدير تذهب للنوم وذهبت هي أيضًا لسريرها المجاور.

نامت سارة وفي صباح اليوم التالي استعدت الفتاتان بارتدائهما الزي الرسمي الذي سوف تحضران به المؤتمر.

انتهتا من كل التحضيرات، ثم استقلتا المصعد للوصول إلى الطابق الأرضي الذي سيعقد بع المؤتمر بعد دقائق، أخرجت هدير بعض مساحيق التجميل وبدأت بإكمال ما بدأته منذ فترة قصيرة ولكن هذه المرة بمرآة المصعد.

أصدرَ المصعد لحنًا قصيرًا يعلن عن وصوله، لم تتوقف هدير عن وضع أحمر الشفاه، فأخرجت من حقيبتها مرآتها الصغيرة، وأكملت. بينما سارة كانت تلتفت يمينًا ويسارًا حتى تصل إلى القاعة بسرعة في هذا الفندق الضخم.

شيء ما قد جعل سارة تتوقف عن الحركة وعن الانتباه لصديقتها التي كانت تتحدث إليها وتخبرها بعض الأمور عن مساحيق التجميل.

أمامها شابٌ في منتصف الثلاثينيات يعطيها ظهره، وله شعر طويل ملفوف رُبط من الخلف وخصلات شعره كان لونها مختلطًا بين الأبيض والأسود.

تمامًا كما رأته منذ سبع سنوات، التف بجسده الضخم لترى وجهه، كان يتحدث إلى فتاة صغيرة في أوائل العشرينيات، ترتدي ملابس قصيرة، ولكن لم يلحظ وجود سارة، وكان حوله مجموعة من الحراس الشخصين الذين يرتدون ملابس سوداء ولهم أجساد ذات بنية قوية.

نفس الملامح التي لم تغب عن كوابيسها إطلاقا، هو بالتأكيد.

ظَلّ يداعب الفتاة الصغيرة ويحتضنها قبل أن يذهب بها إلى الخارج.

وظلت هدير تجذب صديقتها للأمام مشيرة إلى الساعة، وأنهما قد تأخرتا، ولكن دون فائدة، وكأن جسد سارة التصق بالأرض من هول الصدمة.

دمعت عيناها عندما تذكرت الحادثة وبشاعتها.

الحادثة الأصعب لها على الإطلاق.

***

فتحت سما الحاسوب الخاص بها ثم فتحت أحد الملفات وشغّلت فيديو ثم وضعت حاسوبها على المنضدة المقابلة للأريكة التي جلست عليها بجوار عمر.

لم تكن تشاهد ما شغّلته، فعوضًا عن أنها تحفظه عن ظهر قلب إلا أنها اختارت أن تُراقب ملامح عمر التي لم تتغير.

لاحظ عمر ذلك فأدارت وجهها وأشارت ناحية الحاسوب قائلة:

- شوفت كنا مبسوطين إزاي يومها.

ظلا يشاهدان الفيديو حتى نهايته، وبين كل دقيقة وأخرى كان يسألها عن هوية الأشخاص الذين يظهرون أمامه وهي تُجيبه.

وبعد ان انتهى لاحظت أن ملامحه جامدة كما هي، فقالت محاولة أن تُهوِّن عليه:

- عشان خاطري هوِّن على نفسك، أنا مستحملش أشوفك كده.

ثم تابعت مازحة في رقة:

-وبعدين كلها ساعات ونرجع مصر، وأكيد هناك هتفتكر كل حاجة وهيتعكنن عليك لا محالة متقلقش.

كعادتها نجحت في أن تجعله يبتسم ولو مُؤقتًا.

***

وصلت سارة أمام باب القاعة الكبيرة لكن رأسها بقيَ مُتجهًا للخلف، وما زالت تُراقب وقوف ذلك الشاب خارج المبنى، ولاحظت أن هناك سيارة قد وقفت أمامه مباشرةً، فتركت يد هدير التي كانت تدفعها لدخول القاعة واتجهت على الفور ناحية الخارج مُهرولةً. أعاقه ما ترتديه قليلًا وخاصة كعبها العالي عن التحرك بحرية.

وصلت أمام الباب، ولكن أعاقها هذه المرة وجود سيدة في عقدها الرابع تدفع طفلها الصغير أمامها في عربته ببطء، انتظرت حتى خرجت السيدة ثم ذهبت مسرعة.

لكنها وجدت أن السيارة قد انطلقت توًا.

وضعت يدها فوق رأسها من الندم وهي تنظر ناحية السيارة لكنها تفاجأت بمن قطع شرودها بجانبها:

– ينفع كده؟ إيه الجنان ده يا سارة؟ في إيه؟

قالتها هدير فأشارت سارة ناحية السيارة وسألت:

-تعرفي عربية مين دي؟

حركت هدير رأسها للأمام لتلتقط لون السيارة ثم قالت:

– بي إم سودة وموديل السنة دي، أه دي بتاعة صاحب الفندق، او ابنه.

– متأكدة؟

– أه متأكدة، في إيه، فهميني!

تحوَّل وجه سارة ليصبح أصفر شاحبًا، فأردفت في ضعفٍ:

– ده كلب من الكلاب الي اغتصبوني.

***

تحركا معًا إلى داخل الطائرة، ساعدته كالعادة حتى تخلَّص من كرسيه المتحرك وجلس على مقعده بجانبها، أعطته سماعته ليستمع إلى الموسيقا في أثناء فترة الطيران، وضع السماعة على أذنه لكن قبل أن يشغل الأغاني قالت:

– حطتلك عليها كل الموسيقى اللي بتحب تسمعها، على حسب ما افتكرت يعني.

شغّل الأغاني ووضع السماعة على أُذنه والتي كانت تعمل بطريقة عشوائية دون أن يحدد بأيها سيبدأ.

بدأت ألحان قصيرة في العمل ثم تبعها صوت أم كلثوم وهي قول

(كلموني تاني عنك، فكروني، صحوا نار الشوق، الشوق في قلبي، وفي عيوني).

ضاقت عيناه، شعر أن هناك أمرًا غريبًا يسرى بجسده، نزع السماعة، حتمًا سيبلغ سما بما حدث أو يسألها عن قصة هذه الأغنية أو موقف حولها؛ لكنه وجدها قد ذهبت في النوم بسبب إرهاقها طوال اليوم.

وضع السماعة على قدمه وأرجع رأسه إلى الخلف يفكر في أمر الأغنية، لا يتذكر شيئًا عنها، ولكن بالتأكيد هو قد سمعها من قبل.

تشكّل أمام عينه فجأة مؤشر عداد السرعة الذي قد وصل لآخره، وقدمه وهي تضغط على البنزين بقوة يوم الحادثة، ضغط على رأسه كي يتذكر تفاصيل أخرى تسعفه في الوصول لحقيقته، ولكنه فَشِلَ.

أصدر آهات من التعب لم تسمعها سما الغارقة في نعاسها، وَضَعَ السماعة على أذنه ثم شغّل الأغاني مجددًا، لعلها تسعفه في الوصول لُمراده أو قد تمنحه راحة مؤقتة من هذا الألم.

(وافتكرت فرحت وياك قد إيه، وافتكرت كمان يا روحي بعدنا ليه)

***

لم تصدق هدير ما تسمعه من سارة التي كانت تحتضنها بكل قوة، وتعجَّبت كثيرًا من القوة التي كانت تتعمد سارة دائمًا أن تُظهرها، أكملت سارة قصتها وهي ما زالت في حضن صديقتها تبكي، أنهت ما تسرده ثم جفَّفت دموعها وقالت بقوة مجددًا:

- تعرفي تساعديني؟

- لو أقدر أفديكي برقبتي يا سارة والله، بس أساعدك إزاي؟

أخرجت منديلًا ورقيًّا ثم مسحت دموعها التي اختلطت بمساحيق التجميل ثم تابعت:

- عايزة كل المعلومات عن الشاب اللي شوفته في العربية.

ضمَّت هدير شفتيها وهي تفكير ثم أردفت بكل ثقة:

- سيبي الموضوع ده عليا، واعتبريه حصل.

***

أصرَّ عمر أن يكون أول مكان يقوم بزيارته في مصر هو منزله القديم بالإسكندرية ووالده الذي فَشِلَ أيضًا أن يتذكره، لكنه يعلم أن والده يحبه كثيرًا.

وصل أمام منزله ثم ترجَّل من السيارة، وحملت سما الحقيبة الجلدية الكبيرة بعد أن ساعدته على الجلوس بكرسيه المتحرك، استقلا المصعد، ثم وصلا أمام باب شقة عمر المألوف له بتفاصيله الصغيرة، ظَلَّ ناظرًا ناحية الباب يتحسَّسُه بأصابعه.

بينما سما وضعت الحقيبة جانبًا، وقامت برنّ جرس الباب، فتح والده الذي استقبلهما بكل حرارةٍ، واحتضن ابنه كثيرًا، أخذا يتحدثان كثيرًا بعد أن دعاهم إلى الداخل في غرفة الاستقبال، أخذ يسأل عن أحوال عمر وصحته وعن ذاكرته بالأخص.

فغيَّرت سما مجرى الحديث خوفًا من أن يشعر عمر بالضيق وقالت:

– بس إسكندرية متغيرتش يا عمه، لسة بتسحر زي ما هي.

فهم الأب على الفور ما وراء حديثها، فنظر تجاه عمر ثم قال:

– ليا طلب عندك يا بني انت وسما؟

–أؤمر يا عمي طبعًا.

قالتها سما فأجابهما على الفور:

– نفسي تباتوا معايا النهاردة، انتو واحشيني جدًّا.

أومأ عمر برأسه بالموافقة على الفور، كما أن سما رحَّبت جدًّا بالفكرة، وأخبرهما أنها ستعدُّ أيضًا الغداء لهما بعد أن ترتاح هي وعمر من السفر.

–أوضتك زي ما هي عمر من ساعة ما سافرت، ممكن تنقلو حاجتكم فيها النهاردة وتناموا براحتكم.

قالها الأب بعد أن أشار ناحية غرفة عمر.

نهضت سما من فوق مقعد صغير بجوار الأريكة وحملت حقيبتهما الكبيرة وفتحت باب غرفته التي كانت لأول مرة تدخلها.

وضعت الحقيبة بجوار سريره الصغير، لكن لفت نظرها كُتبٌ موضوعة فوق كومودينو صغير بجانبه حاسوب صغير، اقتربت منها وأمسكت الروايات وبدأت بفتحها واحدة تلو الأخرى وقد قذف هذا الرعب بداخلها.

حيث تأكدت ان هذه هي رواياتها التي قد أعارتها لأحمد من قبل وقد تكون هي السبب وراء علمه بحب أحمد لها.

استغل فرصة وجود سما بالغرفة فسأل الأب ابنه بصوت منخفض:

- إنت عامل إيه مع سما؟

- الحمد لله يا بابا كويسين.

فأكمل الأب وهو يبتسم:

-يعني هنفرح بذريتكم قريب إن شاء الله؟

فأجابه عمر بصوت رتيب:

- بابا انا ملمستهاش.

شعر الأب بالإحراج فاقترب عمر برأسه منه ثم أكمل:

- أنا وافقت على السفر عشانك وعشان العلاج اللي هكمله هناك بعد الحادثة؛ وهي عارفة بكده، عايزني إزاي أقربلها وأنا مش فاكر أي حاجة عنها.

ثم أردف عمر بصوت منخفض:

- متأكد إنك مش مخبي حاجة عني غير اللي قولتهولي قبل ما أسافر؟

***

انتظرت سارة صديقتها هدير داخل الكافيه التي اعتادت الجلوس به، وتأمل أن تجلب صديقتها أخبارًا سعيدة حول ذلك الشاب، مرت نحو ربع ساعة حتى وصلت صديقتها على حافة الباب. قلّبت بصرها يمينًا ويسارًا بحثًا عنها.

التقطت عيناها سارة التي كانت تجلس على طاولة في نهاية الممر وكانت تشبك يديها الاثنتين وتضع ذقنها عليهما شاردة، اقتربت من الطاولة ثم قالت وهي تجلس:

- سارة، نحن هنا.

استفاقت من شرودها ورحّبت بها ثم قالت في شغفٍ:

- ها، عملتي إيه؟

تنهدت هدير قبل أن تضع حقيبتها على الطاولة ثم أجابتها:

- اسمه رامي محمود، وأبوه محمود أبو الخير صاحب الفندق اللي قعدنا فيه يومين المؤتمر، عنده 34 سنة.

كل اللي قدرت أعرفه عنه من مصادري في الفندق إنه سُكري وبتاع بنات يعني كل يوم مع واحدة شكل ده غير بلاويه التانية المنيلة من مخدرات وقرف.

صمتت ثم تابعت بعد أن تذكّرت شيئًا آخر:

- أه في حاجة تانية، هو نازل مصر كمان يومين لأن على حسب ما عرفت إنه هو اللي بنفسه بيدير الفرع التاني بتاع الفندق في الساحل الشمالي.

استقبلت سارة المعلومات بصمتٍ جعل هدير تسألها عن نيتها:

- هتتصرفي إزاي؟

فأردفت سارة بصوت رتيب:

- هنزل مصر وراه، دي فرصتي الوحيدة، طول ما هو هنا مش هعرف أوصله.

***

تناولا الغداء معا ثم ذهبا إلى غرفة عمر الخاصة كي يناما ويبدأ رحلتهما بالإسكندرية صباح الغد، استلقى عمر على السرير كذلك هي ثم سألته:

- هو انت وبابا كنتوا بتتكلموا في إيه؟

انتفض من نومه ثم أجاب في سرعة:

- هو انتي سمعتينا؟

- لا خالص، وبعدين انت قلقت ليه كده، أنا بسأل عادي لأني شوفتكم بتتكلموا بصوت واطي فقولت اتطمن بس.

أرجعَ رأسه للخلف بعد أن اطمأنّ ثم تابَع:

- كان بيتطمن على صحتى بس والعلاج.

أمسكت سما الحاسوب الخاص بعمر ووضعته أمامه قائلة:

- اللاب بتاعك اهو كان مركون، لو حابب تبص عليه.

فتح عمر الحاسوب الذي كان قد تركه قبل سفره مع بقية أغراضه في شقته.

تابَعَت سما قائلة:

- معرفش هو مشحون ولا لا، وغالبًا كمان مفيش نت هنا عندك.

حاول عمر فتحه لكنه لم يعمل فأوصله بالشاحن الكهربائي لكن أيضًا بلا فائدة.

فتابَعَ عمر في ضيق:

- شكله كده باظ من الركنة، بكرة هبقى أصلحه.

وضعه جانبًا ثم وجَّه رأسه نحوها متسائلًا:

- سما انتي فاكرة رقمي اللي كان معايا قبل الحادثة صح؟

ضحكت سما ثم أجابته:

- طبعًا ده أنا حافظاه أكتر من اسمي.

فأكمل:

- ابقي فكريني بكرة بالمرة أعمل استبدال شريحة لنمرتي القديمة واجيب تلفون جديد أخليهم معايا الفترة اللي هنقعدها في مصر.

أومأت برأسها موافقة على طلباته لكن بعينين حزينتين مملوءتين بالتفكير.

وَضَعَ عمر الغطاء على جسده، وأغلقَ عينيه استعدادًا للنوم ثم أردفَ قائلًا بصوت هادئ:

- تصبحي على خير.

- وانت من أهله.

ذهب للنوم بينما هي ظلت تفكر، إلى متى سيسطر الخوف عليها دائمًا؟ خوفها مِن فَقْده جعلها تفقد كيانها. يزداد الرعب تدريجيًّا داخلها كلما تحسنت صحته وكلما اقترب من استرجاع ذاكرته حتى وإن لم تكن هناك مؤشرات بحدوث ذلك. خوفها من فقده جعلها أيضًا تتمنى أن تدوم عاهة النسيان به.

(ليته يعلم أنه حياة بالنسبة لها).

***

في صباح اليوم التالي استقلّ عمر سيارة أجرة من أمام منزله بعد أن ودَّع والده بصحبة سما والذي كان في طريقه لمنزلها حيث سيستقران به.

وفي طريقهما للذهاب أخذ عمر حاسوبه الخاص وأودعه بأحد مراكز الصيانة، ثم دلف داخل أحد فروع شركة الاتصالات واستطاع الحصول

على شريحة أخرى بنفس رقمه القديم، وطلب من سما شراء هاتف مناسب له، ووعدته بتنفيذ ذلك.

وصلا المنزل والذي كان خاليًا حيث إن والدها بَقِيَ في باريس ينجز عمله ولم يَعُد معهم إلى مصر، لكنه تَرَكَ لهما مفتاح شقته للمكوث بها.

ذهبت سما كعادتها إلى المطبخ تُحضِّر لهما الغداء، استغل عمر انشغالها وإخراج حاسوبها الخاص من حقيبتهما الكبيرة التي لم تُفرغها سما بعد.

شغَّل فيديو خطوبتهما مُجددًا واسترخى على الأريكة وظل يتابعه في اهتمام.

ما بين تهنئة زملائه وتهليلهم ورقصهم ظهرت لقطة صغيرة جعلته يعتدل في جلسته على الأريكة وشاهدها باهتمام كبير.

أعاد هذه اللقطة مرارًا،شتان هذا التناقض بين ردي فعل هذا الشخص الذي يُدعى أحمد في مقطع فيديو واحد.

(كيف لم أنتبه لهذا التصرف عندما شاهدته لأول مرة؟)

دارَ هذا السؤال بداخله، حيث قبل هذه اللقطة بدقيقة واحدة داخل فيديو يوم خطبته كان يرقص ويُهلل فرحًا، والآن في هذه اللقطة التي أُعيدها أجدُه واقفًا بأحد أركان القاعة والدموع تملأ عينيه حيث باغته مصور الفرح بوضع الكاميرا أمام وجهه مباشرة، ابتسم حينها وتحوَّل لشخص آخر يرقص ويهلل مُجددًا.

شعر عمر أن هناك أمرًا ما غامضًا وراء صديقه المقرب أحمد.

قطعت سما مشاهدته وقالت مازحة:

- لحق الفيديو يوحشك؟

أغلق عمر حاسوبها ثم باغتها بسؤال لم تتوقعه:

- هو أحمد اختفى من يوم الحادثة ومسألش عني ليه؟ مش المفروض إنه صاحبي الوحيد زي ماقلتي؟

لم تجد إجابة، حيث تلعثمت الحروف في فمها لكنها قالت:

- مش عارفة، بتسأل ليه؟

أجابها عمر:

- أصل مش معقول نكون في اسكندرية ومنشوفهوش، أو حتى ميعرفش اننا هنا.

ثم أردف قائلًا:

- هاتي رقمه لو معاكي، أنا هكلمه.

***

جلس الشاب الذي كان عمره في منتصف العشرينيات بمكانه المفضل أمام البحر مباشرة، يتخلل الهواء البارد رئتيه فيُسكِّن آلامه، لم يتبقَ بجانبه إلا رذاذ البحر الذي يتخبط في وجهه البشوش ليشعره بالحياة، صارت لحيته كبيرة مُهمَلة، وكأنه لم يحلقها أعوامًا، كما أن جسده صار نحيلًا، وإذا

كنت تعرفه معرفة قوية قبل سنة من الآن فلن تصدق أنه هو نفس الشخص الذي يجلس أمام البحر.

أصدرَ هاتفه رنينًا فأخرجه أحمد من جيب بنطاله لينظر على شاشته فوجد اسم المتصل (smasemo) وكان للاسم الذي وجده آثار للارتباك حيث كان سيسقط من فوق الصخرة الأخيرة أمام البحر مباشرة من صدمته.

قرأ الاسم أكثر من مرة، لم تكذب عيناه، هي سما.

لم يُعدل اسمها الذي سُجلت به منذ أيام الدراسة، يكاد يكون قد نسيَ أمر هذا الاسم الذي اعتاد مناداتها به، لكنه لم ينسَها..

رَدَّ على المكالمة لكنه فضَّل أن يسمع صوت المتصل أولًا، مرَّت نحو خمس ثوانٍ منذ بداية المكالمة التي أجاب عليها ثم سمع صوتًا رجوليًّا يقول في توتر:

- ألو، أحمد معايا؟

- عمر!

أجابه أحمد في اندهاش فلم يصدق أذنه أنه بعض تلك الشهور يسمع صوت صديقه المقرب مُجددًا الذي أصبحت حياته من بعده بائسة لا طعم لها.

أجابه عمر وهو يضحك بصوتٍ هادئ:

- آه أنا، عامل إيه؟

طمأنه أحمد على حاله ثم سأله عن صحته وعن ذاكرته وفهم أن صديقه ما زال يعاني فقدانه لها، ثم قال عمر:

- انت مكنتش بتسأل الفترة اللي فاتت ليه؟

حاول أحمد أن يجد ذريعةً مناسبة هربًا من هذا السؤال غير المتوقَّع ولهذه المكالمة المباغتة أيضًا، فأجاب في توتر:

- معلش يا عمر ظروف عندي في البيت.

صمت ثم أكمل عندما وجد ذريعة أخرى:

-وبعدين انا مكنش معايا نمرة ليك أكلمك عليها، والنت عندي كان فيه مشكلة وبقالي شهور مبستخدمهوش.

ثم تابع معتذرًا:

- حقك عليا.

فأجابه عمر:

- طب مش هشوفك أنا وسما، إحنا بقالنا يومين في إسكندرية هنا.

رحَّب أحمد بالفكرة وهو ما زال متوترًا ووعده بأنه سيقابله قريبًا بعد أن ينجز بعض الأمور الخاصة بمرض والده.

اطمأنَّ عمر على صحة أبيه الذي بالطبع لم يتذكره أيضًا، وأخبره في نهاية المكالمة أنه يتحدث له من هاتف سما، وأنه في خلال يومين بالكثير

سيشتري هاتفًا جديدًا، ولكن بنفس رقمه القديم مُجددًا وسيكون أول مَن يُجري اتصالًا به لتحديد متى وكيف سيتقابلان بعد غياب.

***

أوصلت هدير صديقتها سارة حتى المطار ثم قالت في حزن:

– انتي متأكدة من الخطوة دي يا سارة؟

أجابتها سارة بصوت مملوء بالثقة:

– متخفيش عليا، عايزاكي انتي تاخدي بالك على نفسك وبطلي نوم كتير عشان اللي بتصحيكي سافرت أهيه.

– انتي اللي تاخدي بالك على نفسك.

قالتها هدير ثم تابعت في فضول:

– مش هتقوليلي ناوية على إيه؟

– خير، ادعيلي بس انتي.

قبَّلتها هدير قبل أن ترحل ثم أردفت:

– في حفظ الله، وعلى فكرة بعتلك كل المعلومات اللي ممكن تحتاجيها عن الفندق بتاعه على الميل عندك.

لوَّحت لها بيدها مُودِّعة إياها بابتسامة ثم حملت حقيبتها واتجهت ناحية المطار لتستقل الطائرة المتجهة للإسكندرية، وهذا ما أثارَ الخوف الذي كاد أن ينتهي بداخلها مُجددًا.

اتصل عمر بمركز الصيانة الذي كان قد أودع حاسوبه به ليتأكد من انتهاء إصلاحه.

أبلغه المهندس المسئول أنه أصلح العطل ولم يحتج لإنشاء نظام تشغيل جديد له، أي إن حاسوبه الخاص ما زال يحتفظ بمعلوماته وملفاته القديمة، ولم تُمسح كما طلب منه عمر، وأوصاه في بداية الأمر.

كما أبلغه أنه في خلال ساعتين سيصل حاسوبه حتى المترل.

بعد نحو ساعتين ونصف وصله مندوب بالفعل من الشركة ليسلمه جهازه. بعد أن استلمه دخل إلى غرفة نومه بمفرده ثم أوصله بمصدر الكهرباء، وفُتح هذه المرة بنجاح، وجد عليه ملفات قديمة على سطح المكتب، وعندما فتحها اكتشف أنها روايات مكتوبة منذ نحو عامين، لم يستطع تحديد هل هو من كتبها أم لا لكنه أجَّل التفكير في هذا الأمر أو سيسأل سما عنه في المستقبل.

فتح بعدها متصفح الإنترنت ثم ضغط على موقع التواصل الاجتماعي **facebook** ليرى ماذا يحتوي بداخله، فقد يساعده هذا على التذكُّر.

وَجَدَ أن الإيميل الإلكتروني وكلمة السر ما زالا محفوظين كما هما، فحمد الله على ذلك ثم ضغط على اختيار (**log in**).

فُتحت أمامه الشاشة الزرقاء الخاصة بالموقع والتي كانت مملوءة بعشرات الإشعارات الحمراء لأنها المرة الأولى لاستخدامه له منذ حادثته.

فتح قائمة الرسائل فوجد عشرات الرسائل التي تركها كما هي ولم يفتحها. رسائل من أصدقائه يطمئنون على صحته بعد الحادثة.

تَرَكَ هذه الرسائل وبدأ بالاهتمام بالرسائل التي كانت قبل الحادثة وكان قد ردَّ عليها من قبل.

وجد خمس أو ست نوافذ رسائل تاريخها يرجع لما قبل الحادثة، تتنوَّع بين رسائل كانت لأصدقائه يمزح فيها معهم ولم تُفد عمر بشيء بعد أن قرأها، أو رسائل بينه وبين زملائه في العمل، وهذا ما استشفه بعد أن فَتَحَها، ورسائل بينه وبين إيميل باسم (broken heart) لم يعطِها اهتمامًا وتخطَّاها.

أغلق حاسوبه بعدها، وما لبث أن فعل ذلك حتى وجد سما تفتح باب غرفته وهي تبتسم كعادتها ثم قالت:

–انت استلمت اللاب امتى؟

أخبرها أنه قد وصل للتوِّ، فتحت حقيبتها ثم أخرجت علبة كرتونية متوسطة الحجم وأعطته إياها قائلة:

– ده أيفون أحدث إصدار زي تلفوني بالظبط، تقدر تحط خطك فيه.

شكرها على هديتها له وأخرجَ خطَّه ووضعه بداخل الهاتف فتابعت قائلة:

– هات أشغلهولك عقبال ماتاخد شاور وتلبس، إحنا هنتغدى برة النهاردة مش معقولة نكون في إسكندرية ومنخرجش.

نَهَضَ قبل أن يُخرج ملابس جديدة للخروج وتوجَّه للاستحمام، شغَّل المياه الساخنة لتتدفق فوق جسمه والتي أنعشت ذاكرته.

رأى أمام عينيه صورة للإيميل (broken heart) وهو يرسل رسالة إلكترونية لم يتذكر تفاصيلها، أغلق عينيه كي يتذكر ما وراء هذا الاسم لكن كالعادة لم ينجح.

انتهى من استحمامه ثم جلس على كرسيه المتحرك مُجددًا وارتدى قميصًا أبيض وبنطلونًا أسود، ووضع عِطرًا قد أعطته إياه سما وقالت إنه كان المُفضَّل لديه.

أخذ هاتفه الجديد وقبل أن يذهب معها إلى الخارج سألها:

-هو إحنا هنروح فين؟

-مطعم بحبه أوى اسمه _red rose_ هنتغدى فيه وبعدها ندخل سينما.

***

وصلت سارة إلى منزلها القديم والتي كانت تأمل ألا تعود إليه مجددًا، لكن إصرارها وعِنادها كالعادة دَفَعَاها للرجوع والمدافعة عن حقها مرة أخرى وسط مجتمع لا يرحم، ولن يتركها بسهولة لتأخذ ثأرها، وهي على علم بذلك.

أبدلت ثيابها واستعدت للراحة لكن قبل أن تغفو فتحت الإيميل الخاص بها وهي مستلقية على سريرها، فوجدت المعلومات التي كانت أرسلتها لها

هدير من قبل والتي ستساعدها على إتمام مهمتها. بحثت عن اسم الفندق لتحصل على مدخل له يساعدها في أمرها، وجدت شيئًا جعلها تنهض من نومها وتقرؤه في اهتمام.

حيث وجدت أن الفندق الذي يترأسه رامي يطلب سكرتيرة مساعدة له، وأن المقابلة ستكون بعد ساعتين من الآن، شعرت أن فرصتها التي كانت تتمناها قد أتت لها على طبقٍ من ذهب، فأسرعت بتبديل ملابسها للاستعداد لهذه المقابلة.

بعد أن انتهت من ارتداء فستانها الأزرق وحجابها الأسود وجدت أنه غير مناسب لرامي، الشخص الذي عرفت من صديقتها أنه متعدد العلاقات الإنسانية، ولا بد له من طُعم كي يتم اصطياده، أبدلت ملابسها على الفور، وارتدت ملابس أخرى ضيقة بعض الشيء ولها ألوان لافتة، ثم نزعت حجابها عن رأسها.

وكانت المرة الأولى التي تفعل فيها ذلك.

بعد أن انتهت أمسكت هاتفها الذي أصدرَ رنينًا قصيرًا يُنبئ عن وجود رسالة عبر تطبيق messenger، فتحته فوجدت رسالة نصيةً أخرى من إياد مكتوبًا بها:

(لسة برده مش عايزة تردي، طمنيني عليكي على الأقل مش إحنا صحاب؟)

وجدت نفسها تكتب رسالة كي تردَّ عليه بعد أن فتحت باب شقتها وتستعد للخروج:

- أنا في مصر، ولقيت طرف الخيط اللي هاخد بيه حقي.

أغلقت الباب وخرجت من المترل فوجدت رسالة أخرى منه قرأهًا قبل أن تستقل المصعد:

- انتي في مصر من إمتى؟ وطرف خيط إيه مش فاهم؟

- لقيت عيل من العيال اللي اهجموا عليّا.

سألها عن نيتها فشرحت له قصة الفندق الذي يملكه هذا الشاب وقصة الوظيفة التي ستكون بعد ساعة من الآن داخل مول green plaza

- اعقلي يا سارة ؛ بلاش السكة دي مش بتاعتك ؛ فيه ألف حل تاني بس ارجعي، متتهوريش، مفكرتيش طيب تبلغي الشرطة؟

أوقفت سيارة أجرة من أمام مترلها وأبلغت سائقها بوجهتها ثم فتحت هاتفها لترد على إياد مُجددًا:

- معنديش دليل عشان أبلغ الشرطة، ثم إني قررت خلاص والمرة دي مش هرجع إلا لما يكون معايا دليل واخد حقي.

تناولا الغداء بمطعم سما المفضل داخل مول green plaza،المطعم الذي كان يغلب عليه اللون البني الكلاسيكي الهادئ وبه من الخارج نموذج مصغر من جنينة خضراء في الهواء الطلق والتي كانا عمر وسما يجلسان بها وفضّلاها عن الجلوس بالداخل.

وبجوار هذا المطعم سُلَّم متحرك يصعد لأعلى المول.

طلب عمر من النادل قهوة وكذلك سما، ارتشف عمر رشفة من قهوته، وظل يتابع المارة الصاعدين فوق السلم الكهربائي المتحرك، ثم نظر تجاه سما وأوقف احتسائه للقهوة بعد أن وجد ملامح سما جامدة وتنظر له بخوف، قال لها:

– مالك؟

– هو انت ممكن في يوم من الأيام تسيبني؟

– ليه بتقولي كده؟

قالها عمر فانهمرت دموع محبوسة لأول مرة أمامه ثم أكملت:

–عشان أنا حاسة إنه ممكن في أي لحظة تسبني وتبعد.

– هو انتي مخبية حاجة عني عارفة إنها ممكن تخليني أبعد؟

ارتبكت سما على الفور من كلماته وما لبثت أن جمعت قواها لترد حتى وجد فتاة تمر من أمامه وتصعد على السلم الكهربائي واستطاعت أن تستحوذ على انتباه عمر.

ظَلَّ عمر ناظرًا ناحية الفتاة والتي كان تركيزها كله منصبًّا عليه وكانت علامات الخوف والذهول على وجهها.

وصلت الفتاة حتى منتصف السُّلم المتحرك، وما زال بصرها متوجهًا نحوه، كما أن عينيه بقيتا محدقتين نحوها مما جعل سما تغير منها.

فهو لم ينظر لسما من قبل بهذه الطريقة!

وصلت سارة لنهاية السلم واختفت عن أبصارهما لكن بقيَ هناك إحساس عجيب داخل عمر لم يفهمه، فداخل عينيها لمعة لم يستطع تفسيرها لكنه أحبَّ أن يطيل النظر إليها وكفى.

بدأ وجه سما في العبوس وعلامات الفضول والشك بدأت تتملك من ملامحها حول هذه الفتاة، نظر عمر ناحية قدميه دون أن ينطق بينما أكملت سما بكاءها دون صوتٍ حتى لا ينتبه لها.

شعرت بالضعف وأنه لا حول لها ولا قوة في قصتها معه سوى الانتظار لما سوف يجلبه القدر، خيَّم الصمت على الطاولة التي كانا يجلسان عليها حتى قطعه وأردف قائلًا:

- أنا عايز أرجع البيت.

***

حاولت سارة أن تسيطر على الخوف الذي أُلقى بداخلها عندما رأت عمر مجددًا وفي هذا التوقيت، كيف أنه لم يتحرك ولم يفعل شيئًا كي يتحدث معها.

وكيف استطاع التمثيل بجدارة أمام سما وأنه لم يتأثر عندما رآها، أم أنه أصبح لا يتأثر بالفعل، أم أنه لم يحب من الأساس؟!

شعرت لوهلة أنها تودُّ الرجوع ناحيته وتتحدث معه وتُعاتبه أو قد تُحطم رأسه بعد زواجه بسما.

دارت بداخلها مئات التساؤلات دون أن تجد إجابة لأحدها. قلبها قد دقَّ مُجددًا حبًّا وخوفًا ومن الغيرة في نفس التوقيت. لولا هدفها الأساسي ومهمتها التي رجعت إلى مصر بسببها لكان لها ردٌّ فعل آخر معه.

وصلت إلى مكان المقابلة، وقبل أن تدخل أخذت شهيقًا كبيرًا تعطي نفسها به الثقة.

دلفت أخيرًا إلى داخل المبنى بعد أن قضت على توترها فوجدت خمس فتيات يجلسن في قاعة الاستقبال ينتظرن دورهن في المقابلة، أخذن جميعًا يتفحصن سارة من أطراف شعرها الأسمر الطويل حتى أخمصي قدميها نظرًا لجمالها اللافت وتأنقها.

جلست لتنتظر دورها هي الأخرى ثم سألت سارة الموظفة المسئولة والتي كانت تنظم أدوارهن:

– لو سمحتي هو مين اللي هيعمل المقابلة لينا؟

أجابتها الموظفة وهي تكتب بعض الأشياء بصوتٍ رتيب:

– أ/ أيمن محمود أبو الخير ابن صاحب الشركة.

ظَهَرَ اليأس على وجه سارة بعد ما تأكدت أن رامي ليس بالداخل، لكن الموظفة أكملت قائلة وهي تنظر لسارة هذه المرة:

– بس فيه مقابلة تانية مع مستر رامي لو اجتازتي المقابلة دي.

ظهر الأمل على وجه سارة مجددًا هكذا تنجح خطتها إذًا.

***

استقلا معًا سيارة أجرة وهما في طريقهما للمنزل، سألها عمر:

- هو الدكتور قالك فاضلي كام جلسة علاج طبيعي هناك في باريس؟

أجابته في اهتمام:

- حوالي 3 أو 4 جلسات.

نظر من نافذة السيارة قليلًا وأخذ يتابع المارة بعينيه ثم تابَعَ قائلًا

- أنا عايز أكمل علاج هنا في مصر، هينفع؟

حركت عينيها يمينًا ويسارًا ثم أجابته بصوت هادئ:

- اه هينفع عادي، كده كده انت في مرحلة متقدمة من العلاج، الفكرة إن في باريس الأجهزة متطورة وفيه اهتمام أكبر، يعني مدة علاجك هتقل بس.

- خلاص احجزيلي مع دكتور علاج طبيعي هنا.

قالها ثم نظر من النافذة مجددًا شاردًا وهي فعلت كما فعل هو لكن من النافذة الأخرى، وصلا المنزل وكلٌّ منهما بداخله الكثير من الأسئلة حول ظهور هذه الفتاة فجأة أمامهما، دخلت سما إلى غرفتها كي تُبدِّل ملابسها بينما ظل عمر جالسًا في الصالة بمفرده يحاول أن يجد تفسيرًا لما رآه منذ قليل.

فظهر أمامه طريق قد يساعده للوصول إلى حَلٍّ، أخرج هاتفه وقام بالاتصال بأحمد لعله يجد إجابات لديه عن أسئلته، سمع صوت رنين هاتفه بأذنه، لكن لم يرد الأخير، حاول أن يتصل مجددًا، لكن هذه المرة قد وجد هاتفه مغلقًا نهائيًا.

الموضوع يزداد تعقيدًا وتزداد الأسئلة بداخله:

(هل يتعمد أحمد الهروب؟ وماذا يُخفي هذا الرجل وراءه؟)

أمسك هاتفه وقام بالاتصال مجددًا، وكما حدث مسبقا وجد أن الهاتف مغلق، وَضَعَ يده حول رأسه ونظر لأعلى ولم يقل سوى كلمة واحدة: (يا رب).

***

تقدّمت بكل ثقة بعد أن حان دورها في المقابلة، فتحت باب المكتب وعلى وجهها ابتسامة أضافت إليها أنوثة، لم تحتاجْ أن تخطو بخطوات تلفت الأنظار فجمالها كان كفيلًا بأن ينهض الرجل من على مقعده القابع خلف المكتب ويمد يده ناحيتها ويسلم عليها بحرارة.

كان شابًا في أواخر العشرينيات يرتدي بدلة رمادية ضيقة تبرز جسده الرياضي، وله شعر أسمر قصير، تفحّص بعينيه جسدها بالكامل ثم قال:

- أهلًا يا..؟

-اسمي سارة.

رحَّب بها ودعاها للجلوس، فمدَّت يدها بعدة أوراق ناحيته كي تزيح نظره عنها قائلة:

- ده ال C.V بتاعي.

زادت نظرات الاندهاش على وجهه مصحوبة بابتسامة صغيرة في أثناء قراءته لخبراتها وكفاءتها الشخصية، وتمتم بكلمات صغيرة في سرِّه استطاعت أن تلتقطها:

(يابن المحظوظة يا رامي)

تعمَّدت سارة أن تتجاهل ما قاله حتى نظر ناحيتها وقال:

- خريجة إعلام ومعاكي كل الكورسات والخبرات دي، لا دي انتي تيجي تقعدي مكاني بقى.

ابتسمت مجاملة إياه فتابَع قائلًا:

- بس إزاي مشتغلتيش في مجالك كل ده؟ ليه مبقتيش صحفية؟

ثم نظر تجاه جسدها مُجددًا وأكمل:

- وخصوصًا إن عندك المؤهلات لده.

لم تكتب سارة في معلوماتها الشخصية أنها قد عملت بالصحافة من قبل خوفًا من أن يتم اكتشاف أمرها فأجابته بثقة:

-أنا مهتمة بمجالات تانية زي الموضة والأزياء ده غير إني برده مسبتش الصحافة بشكل نهائي أنا بكتب مقال بين وقت للتاني على جريدة إلكترونية في مجال الموضة والأزياء برده، يعني بدمج بين الاتنين.

أرجع رأسه للخلف ثم تابَعَ قائلًا:

– انتي accpeted معانا أكيد، بس فيه مقابلة تانية بعد دي في الفندق اللي هتستلمي فيه الشغل في الساحل الشمالي.

ثم أكمل وهو يضع أوراقها جانبًا:

– المقابلة هتكون مع رامي أخويا الكبير.

أنهى المقابلة معها، ثم أكّد لها أنه سيتم الاتصال بها خلال ساعات لتحديد معاد المقابلة، رحلت سارة وفي طريقها للباب أخذ يتفحّص جسدها قائلًا بصوت هادئ:

(دايمًا كده حظك في رجليك يا رامي ياخويا)

فالتفتت ناحيته سارة مجددًا قائلة:

– بتقول حاجة يا مستر أيمن؟

– لا لا؛ ده انا بقول الأذكار.

أومأت برأسها بابتسامة وكتمت ضحكتها، ففضلًا عن موقفها الصعب التي لم تعلم نهايته إلا أنه يتميز بخفة دم جعلتها تنسى مشكلتها لثوانٍ.

ما لبثت أن خرجت سارة من المقابلة حتى رفع ايمن سماعة الهاتف وأجرى اتصالًا بأخيه الذي كان نائمًا، فقال أيمن مُداعبًا أخاه:

- لا اصحالي كده مش وقت نوم.

صمت لثوانٍ يستمع لأخيه الذي يُوبِّخه ثم أكمل:

- اسمع بس؛ انت جايلك كرباج في المقابلة الجاية اسمها سارة، حاجة كده ميكس أوروبي وشرقي.

ثم أردف مداعبًا:

-هو مينفعش نبدل وتاخد انت الولية الحيزبونة اللي واقفة برة عندي وتديني سارة؟

***

شغَّل عمر حاسوبه مُجدَّدًا وبحث عن الإيميل المسمى BROKEN Heart والذي تذكر أنه أرسل له رسالة قبل نزوله لتناول الغداء مع سما.

وإذا كان أول ما تذكره هو هذا الشيء فهذا يعني أنه كان شيئًا مهمًّا.

وجد الإيميل بسهولة ثم فتح نافذة الرسائل بينهما التي لم تكن طويلة، حيث كانا قد أكملا حديثهما على تطبيق whats app؛ واستشف من حديثهما أن اسم هذه الفتاة هي سارة، وأنه كاتب روائي. تذكّر على الفور الملفات الموجودة على حاسوبه، وتأكد أنه هو من قام بتأليفها، وجد آخر رسالة بينهما يتفقان بداخلها على ميعاد في كافيه santos. ضغط

على رأسه بيديه كي يتذكر تفاصيل هذه المقابلة، ويَئس من محاولاته الكثيرة في ذلك. فتحَ صفحتها الشخصية فلم يجد صورة شخصية لها.

أمسك هاتفه بعد أن وجد خيطًا ما سيُساعده على معرفة هُوية هذه الفتاة، واتصل بنفس مهندس الشركة الذي أصلح جهازه، وسأله عن إمكانية استرجاع الرسائل على تطبيق **whats app** فأكد له أنه يمكنه ذلك وشرح له الطريقة، فسجّلها عمر بورقة خارجية ثم شكره وأغلق المكالمة.

نفّذ عمر خطوات تثبيت هذا التطبيق، ثم نفّذ ما شرحه له المهندس فوجد رسائل كثيرة تم استرجاعها مرة أخرى، من بينها نافذة رسائل عليها صورة فتاة قد رآها من قبل، دقّق في تفاصيلها فابتلع ريقه بصعوبة بعد أن تأكد أنها نفس الفتاة التي رآها اليوم على السُّلم الكهربائي لكن من دون حجاب.

فتح الرسائل بينهما في وهو يقرأ في اهتمام ويتابع ظهور سما من عدمه. قرأ آخر رسالة نصية كانت بينهم:

(سارة أنا عارف أنك شيفاني أزبل إنسان في الدنيا، بس أنا مش كده، صدقيني أنا عمرى ما نسيت أي حاجة أو تفصيلة بينا، وعلى فكرة أنا اخترت يوم جوازي يكون في ذكرى اليوم اللي سيبنا فيه بعض، علشان أفضل طول عمري حاسس بالذنب وأنا مع حد غيرك، سامحيني).

ازدادت سرعة ضربات قلبه فحرَّك مؤشر الرسائل لأعلى ليقرأ الرسائل الأقدم، عيناه صارتا مملوءتين بالخوف، وأمسك الهاتف بقوة غير مصدقٍ عندما وجد كلمة (تتجوزيني) أسفل ملف وسائط قد تم مسحه وحاول استرجاعه هو الآخر لكن فشل، ووضع احتمال أنها قد تكون صورة.

دقَّق في تاريخ إرساله لهذه الكلمة فلم يجدها منذ فترة بعيدة، أي أنه قد أحبَّ سارة في أثناء وجود سما في حياته.

يا إلهي! ماذا يحدث لي؟ أيعقل أنني لم أحب سما؟

زادت التساؤلات كلما قرأ الرسائل أكثر حتى سمع صوت سما تتحدث بالهاتف بطريقة رسميةٍ، وعرف من طريقتها أنها تحجز له لاستكمال علاجه الطبيعي هنا في مصر.

بدأ في إدراك لِمَ يتهرب منه والده عندما يتحدث معه عن الماضي وكذلك صديقه المقرب، وهذا ما زاده إصرارًا على كشف الحقيقة كاملة.

فكتب رسالة نصية قصيرة على whats app لها:

- سارة إزيك؟

***

بعد أن انتهت من مقابلة العمل مع هذا الكائن الغريب قررت ألا تتجه ناحية المنزل. وجدت نفسها بدون تخطيط مُسبق تذهب إلى نفس المكان الذي كانا يتقابلان فيه.

ذهبت إلى santos فلم تجده قد تغير كثيرًا عندما وصلت له، بحثت عن طاولتها المفضلة فوجدتها مشغولة، يجلس عليها شابٌ وفتاة تمامًا كما كانا يفعلان معًا.

جاء النادل الذي ألقى عليها التحية قائلًا:

– أستاذة سارة منورة المكان، فينك من زمان مختفية يعني؟

كان النادل وهو يتحدث ينظر داخل عينيها تارة وتارة أخرى ينظر لشعرها مندهشًا. فلم يعتَد على هيئتها بدون حجاب كما تفعل الآن، أبلغته بقصة سفرها وهو ما منعها من أن تأتى إلى هنا، فتابَعَ هو مُرحِّبًا بها مجددًا وهو يقول مُعتذرًا:

– نورتينا تاني، ومعلش عشان ترابيزة حضرتك المفضلة مشغولة النهاردة.

–لا عادى ميهمكش، القهوة بتاعتي لو سمحت يا عزت، فاكرها ولا؟

أومأ برأسه مبتسمًا وهو يقول:

– أه طبعًا فاكرها.

ثم ذهب بعيدًا عنها ليحضر قهوتها التي اعتادت أن تحتسيها معه على الطاولة الموجودة أمامها مباشرة.

ظلت عيناها مثبتتين ناحية الطاولة 13 في شرودٍ تام حتى قاطعها صوت الرسائل بهاتفها، فتحتها فوجدت رسالة من رقم غير مُسجَّل، لكنها كانت تحفظه جيدًا وبها:

- سارة، إزيك؟

***

ذهب عمر بصحبة سما إلى الطبيب المُعالج الذي حجزت معه والذي بدأ بالعلاج على الفور منذ أول زيارة له، أخبره الطبيب بعد أن تفحَّص الإشاعات القديمة بأن حالته قد تحسَّنت كثيرًا عن البداية، وأنه يحتاج فقط إلى إرادة وإصرار حتى يتعافى نهائيًّا من إعاقته. وأعطاه حلًّا كي يسهل له عملية المشي والتحرك بدون كرسي متحرك عندما اشتكي له عمر وطلب منه أن يجد حَلًّا مؤقتًا.

أوضحَ له الطبيب أنه يستطيع الآن أن يضغط على قدميه، ولكن باستخدام عكازين خشبيين، وأنه مع الوقت سيستغني عنهما، ولكن بالإرادة والانتظام بالعلاج.

ابتسمت سما ثم قالت لعمر:

- مش قولتلك إن فيه أمل كبير! شوفت ربنا كريم إزاي.

ابتسم عمر ابتسامة بها راحة لم تجدها سما على وجهه منذ الحادثة، رحلا من عيادة العلاج الطبيعي بعد أن قضوا بداخلها ثلاث ساعات، وكلاهما مفعمان بالأمل.

فلأول مرة منذ حادثته يمشي عمر جنبًا لجنب معها بعكازين خشبيين، في بداية تجربته لاستخدامهما قد تعثّر كثيرًا ولكن ساعدته سما حتى استطاع السير بهما بمفرده دون مساعدة.

ابتسم وهو يضغط على شفتيه مُتحمِّلًا الألم الناتج عن تعكُّزه.

استدار ناحيتها ثم أردف قائلًا:

– أنا عايز أروح santos، إيه رأيك؟

أومأت كعادتها موافقةً على الفكرة، وأي فكرة كان سيقترحها كانت ستوافق عليها دون تفكير في الوقت الحالي نظرًا لسعادته وسعادتها أيضًا، ذهبا معًا ووصلا إلى المكان بعد دقائق حيث إن المسافة لم تكن كبيرة.

وعندما دلف إلى الداخل شعر بأن قلبه ينقبض خوفًا، وأن هناك ما يسحب الهواء من رئتيه فسألته سما وهما ما زالا واقفين على حافة الباب:

– عمر انت كويس؟

هَزَّ رأسه أنه بخير، ثم تحرَّك خطوتين إلى الداخل وتشكَّل أمام عينيه جلوسه في هذا المكان من قبل ووجود فتاة أمامه على الطاولة 13، تشكلت صورة سارة.

استفاق على صوت النادل الذي رحَّب به قائلًا:

– أستاذ عمر منور يافندم، ألف سلامة عليك، خير؟

لم يُظهِر أي اندهاش أو تعجب على وجه عمر عندما وَجَدَ النادل يعرفه، بينما سما ضمت حاجبيها في استغراب دون أن تنطق هي الأخرى.

نَظَرَ عمر ناحية اسم النادل المطبوع على صدره فوجده (عزت)؛ أكمل هذا النادل بصوت رتيب مشيرًا لإحدى الطاولات:

- ترابيزة 13 فاضية، اتفضل يافندم.

ساورتها الشكوك لكنها فضلت الصمت حيث إنها لم تأتِ مُسبقًا معه إلى هنا، ولكن المقام لا يتسع لسؤاله عن قصة اختياره لهذا المكان، جلسا ووضعت هي حقيبتها على الطاولة. بينما وضع هو عكازيه جانبًا، استقبل النادل طلباتهما وكتبها في ورقة ثم أكمل حديثه موجهًا بصره ناحية عمر:

- على فكرة أستاذة سارة كانت هنا من شوية ومشيت، وسألت عليك إذا كنت لسة بتيجي ولا؟

نَظَرَ عمر وسما لبعضهما البعض على الفور، مُلئت عينا عمر رُعبًا حينها بينما سما كانت غاضبة، شعر النادل أن هناك مشكلة ما فرَحَلَ على الفور.

أصبحت شكوكها يقين الآن، كانت هناك فتاة أخرى في حياته.

ولولا أن عمر يمر بعدة أزمات معًا لكان لها ردُّ فعلٍ آخر، لكنها فضَّلت أن تبقى صامتة الآن، وكذلك هو.

***

استيقظت سارة من نومها في تمام العاشرة صباحًا بعد نوم عميق، وأول ما فعلته هو أنها فتحت تطبيق whats app مجددًا لتتأكد هل أرسل رسالة أخرى لها أم لا؟

اختارت ألا ترد على رسالته الأولى بل عدم فتحها من الأساس، فأمامها أمور لها أولوية كبرى عندها. مرَّت دقائق فوجدت اتصالًا من رقم أرضي غير مُسجَّل لديها.

بدأت المكالمة ثم وضعت الهاتف على أذنها لتستقبل صوتًا أنثويًّا يتحدث لها بطريقة رسمية، ويبلغها بأمر المقابلة الثانية بالفندق التي ستكون بعد غدٍ بالساحل الشمالي. أنهت المكالمة بعد أن أخذت منها باقي التفاصيل، وبالأخص العنوان.

فتحت messenger وأبلغت إياد ما وصلت له مُبرِّرة أنها تخبره بخط سيرها حتى إذا حدث لها مكروه يقوم هو بالتصرف والتعامل مع الأمر.

فأرسل إليها رسالة بها:

–طب انتي مش محتاجة أي حاجة مني؟

– لا كله تمام، ولو احتاجت حاجة هقولك.

– طيب خدي بالك على نفسك.

***

كانت ترتدي ملابس قصيرة على غير عادتها، وشعرها الناعم ينسدل وراء كتفيها.

التفتت إلى الخلف، ثم ابتسمت له وهي تبكي، دموعها التي تنهمر تختلط بمساحيق التجميل التي كانت كثيفة على وجهها وأخفت ملامحها الرقيقة تمامًا، وقفت سيارة سوداء أمامها مباشرة فاقتربت منها سارة وما زال بابها مغلقًا، أمسكت باب السيارة وقبل أن تفتحه نظرت إلى الخلف داخل عينيه مجددًا.

وهذه المرة كان بكاؤها أكثر مما سَبقَ، تركت الباب وما لبثت أن هرولت إلى الخلف مُبتعدة عن السيارة حتى فُتحت السيارة وخرج منها رجل ضخم يرتدي ملابس سوداء، وأمسك بجسد سارة وسَحَبَها بقوة تجاه السيارة مما جعلها تلتفت إلى الخلف وهي تصرخ مستنجدة به:

- عمر؛ عمر!

قام عمر مَفزوعًا من نومه، أخذ شهيقًا طويلًا بصعوبة قبل أن يضع يده على صدره من الألم، ظل يفكر لثوانٍ ويستفيق من هذا الكابوس المزعج الذي رآه للتوّ عن سارة، لم يجد تفسيرًا لما يحدث معه سوى أنها ليست بخير.

أمسك هاتفه وأرسل لها رسالة أخرى على whats app بها:

-سارة؛ ممكن تردي؟

ظَهَرَ له أنها online ولكن بلا ردٍّ منها، تَرَكَ هاتفه على الكوميدينو ثم خرج يبحث عن سما التي لم يجدها بجانبه على السرير.

وجدها تجلس في الصالة الكبيرة على الأريكة ولم يغالبها النوم. اقترب منها فوجدها تبكي بصوت مكتومٍ، وما لبثت أن رأته واقفًا أمامها مباشرة حتى كفكفت دموعها وهي تنظر جانبًا بعيدًا عنه. فعرف أن ما بها هو أثر ما حدث أمس.

فتنهَّد ثم قال:

– على فكرة لو بعدتِ عنى دلوقتي مش هقدر ألومك، ومش هتبقي غلطانة.

جلس بجوارها على الأريكة ثم تابَعَ وهو ينظر أمامه:

– بس قبل ما تحكمي على الموضوع وتظلميني لازم تفهمي إني فعلًا مش فاكر أي حاجة عن سارة، وبرده باكدلك لو عايزة تبعدي عني، ابعدي.

نظرت ناحيته ثم قالت وهي تبكي بصوت عالٍ:

– ياريته ينفع، ياريتني أقدر.

انسحب عمر بهدوء من جانبها لأنه يعلم أن هناك شيئًا ما خطأ قد فعله، لكنه لا يعلم ماهيته، ولا يعلم أيضا المغزى وراء هذا الكابوس الآن.

كل شيء أمامه أصبح مُبهمًا، ودارت الأفكار المشتتة داخل عقله مما جعله يُقرر أن يترجل بمفرده خارج المنزل، خاصة أنه يستطيع فعل ذلك الآن.

راقبته بنظرات مملوءة بالحنان وهو يرتدي ملابسه ويستعد للخروج، وبعد أن انتهى من ارتدائه ملابسه وأمسك بعكازيه الخشبيين توجَّه ناحية باب الشقة فقالت سما في قلق:

– رايح فين دلوقتي؟

أوقفه سؤالها على حافة الباب فنظر ناحيتها وأردف قائلًا:

–هتمشي، عايز أبقى لوحدي شوية.

استقلَّ المصعد ووصله به حتى الدور الأرضي ثم وضع يده على جيبه يتحسَّسه، ويتيقَّن من وجود هاتفه، فاكتشف أنه قد نَسيه بالأعلى.

فمنذ الحادثة لم يعتد أن يحمل هاتفًا معه، وهذا شيء جديد عليه، لكنه حَمِدَ ربَّه على ذلك، فهذا يمنحه التجوُّل بحرية دون مضايقة من أحد.

لم تكن لها صديقة مقربة حتى في أثناء الدراسة، لم تعتد أن تتحدث أو تحكي ما بها إلا له، أو لأحمد في بعض الأحيان، والآن هما بعيدان عنها.

جلست في الصالة قليلًا ثم شعرت بصداع بعد أُرهقت من البكاء، فأعدَّت لنفسها قهوة وتناولت مسكنًا لهذا الصُّداع برأسها، ثم ذهبت إلى غرفة نومها كي تستريح قليلًا.

أمسكت هاتفها الذي كان على الكوميدينو بجانبها، وبعد أن فتحته اكتشفت أنه هاتف عمر الذي كان يُشبه هاتفها، كانت ستتركه جانبًا، ولكن لفت نظرها أن نافذة تطبيق برنامج whats app كانت ظاهرة على الشاشة وبها عدة رسائل.

وما لفت انتباهها وجود نافذة رسائل أخيرة عليها صورة فتاة لفتت نظرها، وبعد أن فتحتها نزل عليها هذا الأمر كالصاعقة عندما وجدتها نفس الفتاة التي كانت على السُّلم الكهربائي التي كانت تساورها الشكوك حولها ومن نظرات عمر لها.

حرَّكت مؤشر الرسائل لأعلى وازدادت الكوارث عندما تأكدت أن هذه الفتاة هي سارة، وأنها السبب في تركه لحفل الزفاف معها، وليس

أحمد، وأنه قد عَرَضَ عليها الزواج من قبل، وعندما دقَّقت بالتاريخ وجدت أنه في أثناء فترة سفرها إلى الخارج مع والدها.

انهمرت منها الدموع التي أغرقت الهاتف الذي كان بحوزتها وهي تقرأ الرسائل. وكلما قرأت الرسائل أكثر شعرت بدوار في رأسها، وكان أحدًا يَهبِطُ بمطرقته بكل قوته فوق رأسها، وقلبها يكاد ينخلع من مكانه.

عمر قد خانها، قد خان كل ما قدَّمته له. هكذا فكرت سما. وشعرت كم كانت ضعيفة متخاذلة مع نفسها قبل أن تكون متخاذلة معه.

ألقت الهاتف جانبًا، ووضعت يديها فوق رأسها من هول الصدمة تستنجد بربها أن يعطيها القوة كي تتحمل أمرًا كهذا.

في هذه الثواني القليلة قد فكرت في هجران عمر بشكل نهائي، وأنها قد اتخذت قرارًا لا رجعة فيه، فهو قد خانها، وكبرياؤها يُحتم عليها ذلك.

ولم تمر دقائق بسيطة بعد هذا القرار حتى وجدت غيرتها تعمل مُجددًا، فأمسكت هاتف عمر وكانت سترسل لها رسالة أخرى على **whats app** من هاتفه.

ولكن شغَّلت عقلها فوجدت أنه قد ينكشف ما ستفعله بكل سهولة عندما يأتي عمر.

فخَطَرَ بعقلها حَلٌّ آخر، كَتَبَتْ رقمها على هاتفها هي هذه المرة ثم أجرت اتصالًا بها دون أن تخطط ماذا ستقول لها. سمعت صوت رنين هاتفها داخل أذنها، ثم أجابتها سارة وهي تكتب بعض الأشياء على ورقة قائلة:

– ألو، مين معايا؟

- أنا سما.

تركت سارة الأوراق على الفور ورجعت بكرسيها إلى الخلف ثم تابَعَت في استفهام:

- مين؟

- سما مرات عمر؛ إيه مش عارفاني؟

تلعثمت الحروف على شفتيها في بداية الأمر، ثم أجابت بصوت مرتبكٍ:

- أه عارفاكي، أهلًا بيكي.

ساد الصمت لثوانٍ بينهما حتى قطعته سما قائلة:

- ممكن أخد من وقتك دقائق؟

فأجابتها سارة دون تردد:

- أه طبعًا اتفضلي.

- مش هينفع تلفون أنا لازم أشوفك واتكلم معاكي لوحدنا.

ظَهَرَ القلقُ على وجه سارة بعد أن طلبت منها مقابلة في وقت صعب، ولكن إذا رفضت ستظن أنها تتهرب، وسارة لا تخاف المواجهة. فقالت سارة:

- أوك ممكن بكرة، بس فين؟

- سانتوس كويس معاكي؟

اتسعت عيناها خوفًا عندما اختارت هذا المكان، وهذا يعني أنها قد كشفت كل شيء.

أخرجت زفيرًا طويلًا ثم أجابتها:

- أوك سانتوس، بس خلينا قبل 8 ممكن؟

- يبقى معادنا 6 بكرة.

أغلقت سما المكالمة معها بعد أن شكرتها على ما أخذته من وقتها وهي تضغط على أسنانها، ثم وضعت هاتف عمر مكانه حتى لا يستشعر شيئًا أو أنها قد رأت كُلَّ شيءٍ.

واتجهت ناحية المطبخ لتحضر لهما وجبة العشاء وبعد أن انتهت وضعت الطعام على الطاولة التي زينت بالشموع.

حضرت كل شيء له وكأن شيئًا لم يكن.

***

الكابوس المفاجئ، الأغنية، المحادثات الطويلة، وعرضه عليها الزواج، وقصة هذا المكان الذي اعتادا الجلوس به، دارَ في عقل عمر كل هذا معًا في أثناء ترجله على شاطئ البحر.

يضربه الهواء البارد في وجهه وكأنه يساعده على التذكُّر. أخذ يُراقب المحلات ليلًا وهذه المدينة الساحرة التي يتعرف إليها من جديد.

ترجَّل حتى وصل إلى كامب شيزار، وقف أمام الصخور على البحر لكنه لم يستطع أن يخطو عليها بسبب عكازيه الخشبيين، لكنه ظَلَّ واقفًا يشعر بحنين إلى هذا المكان بالتحديد بكامب شيزار. شعور مبهم غير واضح.

(طب وسما يا عمر؟)

سَمِعَ هذه الجملة بأذنه بصوت صديقه أحمد فاقشعرَّ بدنه، هذا يعني أن أحمد كان على عِلمٍ أنه كان سيترك سما.

رأى أن الحلَّ هو أن يتحدث إلى أحمد ما دامت سارة لم تمنحه هذه الفرصة كي يفهم القصة كاملة.

تحرَّك بعكازيه إلى الخلف ذاهبًا إلى المنزل ليُنفِّذ خُطته التالية في الوصول إلى الحقيقة أو الوصول إلى أحمد.

***

بعد أن تناولت سما معه العشاء الذي حاولت من خلاله أن تُرسل لعمر رسالة واحدة هي الأهم، أنه لن يجد امرأة غيرها تتحمله في كل حالاته، حتى إذا خانَها، أو بمعنى آخر لا سبيل للحياة لها إلا معه، ذهبا إلى النوم معًا.

وبعد أن استيقظت ذهبا هي وعمر معًا إلى عيادة العلاج الطبيعي ليبدأ رحلة علاجه. تركته هناك وتحججت بالذهاب لشراء بعض الأغراض

لنفسها كي لا تتأخر عن ميعادها مع سارة، وصلت سما الكافيه في تمام السادسة.

انتظرت نحو ربع ساعة حتى أتت سارة تمامًا كما رأتها على السُّلم الكهربائي من دون حجاب، بحثت عنها سارة فوجدتها تجلس إلى الطاولة المعتادة، رقم 13.

يبدو لسارة أن سما قد عرفت كل شيء حتى بالتفاصيل الصغيرة، اقتربت منها سارة وألقت عليها التحية، فردَّت سما التحية بصوتٍ هادئ.

ما لبثت أن بدأت سما بالحديث كي لا تضيع وقتها حتى وجدت النادل عزت يقف بجوارهما متعجبًا مُمسكًا بيده الورقة الصغيرة التي يكتب بها طلبات الزبائن؛ تارة ينظر ناحية سارة وتارة ينظر ناحية سما.

فهو يرى السيدتين معًا اللتين هما أشبه بالشمس والقمر، يستحيل أن يجتمعا معًا. خاصة بعد أن ذكر اسم سارة أمام سما في المرة السابقة ووجد أن ملامحها قد سكنها الغضب.

قاطعت سارة شروده وهي تقول:

- القهوة بتاعتي يا عزت لو سمحت.

فنظر ناحية سما التي كان يجهل اسمها بعد أن كتب طلب سارة فقالت له سما:

- قهوة زي قهوة عمر بالظبط.

لم ينطق ولم يوضح لهما بأن نوع القهوة التي اعتادا أن يشرباها هي نفس القهوة في الحقيقة.

رَحَلَ بعيدًا عنهما، وتَرَكَ فرصة لسما التي بدأت بالحديث قائلة:

– من غير ما أضيع وقتك ولا وقتي إنتى أكيد عارفة إني جاية أتكلم معاكي بخصوص عمر.

أومأت سارة برأسها فأكملت سما بنبرة بها حدة:

– ممكن تبعدي عنه وتسيبينا في حالنا، عمر بيمر بظروف صعبة ومش هيستحمل أي صدمة تانية سواء مني أو منك.

فردت سارة وهي تضحك ساخرة:

– على فكرة إنتي مش فاهمة حاجة، عمر كان...

قاطعتها سما قائلة:

– ومش عايزة افهم، إنتي اللي لازم تفهمي إن اللي فيه عمر حاليًا أكبر من أي مشكلة تافهة او حتى نزوة مر بيها في وقت من الأوقات.

شعرت سما أنها قد سببت الإحراج لسارة التي احمرَّ وجهها على الفور إثر حديثها قالت معتذرة لها:

– أنا أسفة، بس فعلًا حالة عمر نفسيًّا وجسديًّا صعبة بعد الحادثة اللي حصلتله وده مأثر عليّا ومخليني خايفة عليه من الهوا الطاير.

ظَهَرَ الفضول والخوف داخل سارة أيضًا كي تسأل عن الحادثة التي تعرَّض لها عمر؛ لكنها تماسَكت ولم تسأل. ثم ابتسمت سارة بكل قوة وأردفت قائلة:

– عمر أنا محاولتش أقرب منه ولا هحاول أعمل ده، صدقيني أنا عندي أولويات تانية أهم منه ومعتقدش إني ممكن أتنازل عنها وأركز معاه أو أحاول أخده منك زي مانتي فاكرة عشان متعودتش أخد حاجة مش بتاعتي. وتقدري تعتبري ده وعد مني، عن إذنك.

أنهت حديثها ثم أخرجت نقودًا ووضعتها على الطاولة أمامها ثمن القهوة التي لم تشربها والتي جاء بها النادل ولم يجد الفتاتين كما كانتا جالستين منذ قليل فقد رحلتا.

***

هيأت سارة نفسها للميعاد المُنتَظَر، واستقلت سيارة أجرة للذهاب إلى الساحل الشمالي قبل المقابلة بساعتين على الأقل، أراحت رأسها إلى الخلف قليلًا في أثناء تحرُّك السيارة تفكر فيما قالته سما أمس لها:

(أو حتى نزوة مر بيها في وقت من الأوقات.)

تذكَّرت كلماتها فانقبض قلبُها، أيُعقل أنها قد كانت مجرد محطة قطار وقف عندها عمر ثم أكمل طريقه بعدها وكأن شيئًا لم يكن.

تسربت ألحانٌ إلى أذنيها قد شغَّلها السائق:

(فكروني إزاي، هو أنا نسيتك.)

وكأنها رسالة القدر لها ألَّا تصدق ما ظنت به حول عمر، أخرجت سماعتها الصغيرة ووضعتها في أذنها حتى لا تسمع ألحانا تُذكِّرها به وظلت تُراقب الطريق من النافذة الصغيرة بجانبها في صمتٍ.

وصلت إلى الساحل الشمالي واستقلت سيارة أجرة حتى وصلت أمام الفندق مباشرةً، ثم سألت موظفة الاستقبال عن المقابلة فأشارت إليها بمكان المقابلة على الفور.

استقلَّت المصعد حتى وصلت الدور الثاني فوجدت سكرتيرة شابَّة في عمرها. أشارت إليها السكرتيرة بالانتظار دقائق لأنه مشغول قليلًا. جلست سارة على مقعد جلدي له لون أزرق، عرفت من ملمسه أنه باهظ الثَّمن.

ظلَّت تُراقب الديكور الإيطالي الذي أعجبها كثيرًا بالمكتب حتى تقضي على توترها قبل مواجهة من أهدر أغلى ما تملك في يوم من الأيام.

لا تُصدِّق أن بينه وبينها جدارًا واحدًا فقط، كم تمنت أن تُنهي كل هذه المسألة برصاصةٍ واحدة في منتصف جبهته! ولكن سيضيع مستقبلها تبعًا لذلك، فهي لا تملك دليلًا واحدًا.

كل ما تأمله الآن هو ألَّا يتذكر وجهها، نسبة هذا الاحتمال لها ضعيفة؛ لأنه كان ثملًا، كما أن هذه الحادثة منذ سنوات طويلة جدًّا.

– أستاذة سارة تقدري تدخلي.

نحَّت كل هذه الأفكار جانبا عندما سمعت نداء السكرتيرة لها، وتقدَّمت بخطوات سريعة تملؤها الثقة، فتحت الباب فوجدت رامي قابعًا خلف

مكتبه يمسك سيجارًا باهظ الثمن بين أصبعيه، لم يهتز عندما رآها وهذا معناه أنه لم يتذكرها.

اقتربت من المكتب فاعتدل في جلسته ومَدَّ يده نحوها وهو ما زال جالسًا، ترددت في بداية الأمر أن تمد يدَها نحوه، ولكن لن تصل لمبتغاها إذا رفضت، فبادلته التحية. رسمت ابتسامة مصطنعة على وجهها، فأشار إليها بالجلوس قائلًا:

- سمعت من أيمن إن C.V بتاعك قوي.

ابتسمت قائلة:

- شكرًا ده شرف ليا.

ظَلَّ يتفحص سارة بأكملها بطريقة فاقت أخاه جعلتها تشمئز منه، فتابع هو مشيرًا بسبابته نحوها مُغمضًا عينه اليسرى قليلًا:

- هو انا وانتي متقابلناش قبل كده؟

- مفتكرش..

قالتها بكل ثقة، فتابَعَ هو قائلًا:

- جايز.

ثم ضغط على زرٍّ صغير يستدعي به السكرتيرة وهو يقول لها:

- تشربي إيه الأول؟

- ممكن قهوة.

- مظبوطة صح؟

ظهرت أمامه السكرتيرة، فتابَعت سارة في اندهاش:

- انت عرفت منين؟

فنظر ناحيتها وأجاب بخبث:

- ماهي كل حاجة فيكي مظبوطة.

أشار إلى السكرتيرة بأن تحضر فنجانين من القهوة، وبعد أن رحلت أرجع جسده إلى الخلف وقال في جدية:

- الشغل معانا صعب حبتين يا سارة.

- إزاي؟

أجاب وهو يُحرِّك القلم بين يديه بطريقة رأسية:

- يعني مش مرتبط بمواعيد محددة، ده غير المواعيد اللي ممكن تبقى برة الفندق أحيانًا ولازم تكوني معايا فيها.

-معنديش مشكلة.

شرح لها طبيعة الشغل بالتفصيل، وأبلغها بالراتب الذي كان مرتفعًا جدًّا وفاقَ توقعاتها، وأبلغها أنه سيخصص لها غرفة بالفندق تقيم بها حتى يتم توفير مكان آخر لها. فأومأت على الفور بالموافقة. قام من فوق مكتبه وجلس على المقعد المقابل لها. لاحظت أن بيده خاتمًا للزواج، وهذا يعني أن الفتاة التي رأتها بالفندق معه هي زوجته، ثم قرَّب رأسه ناحيتها قائلًا:

-ورينا شطارتك في الشغل بقى.

حاول أن يضع يده على فخذها فأزاحت يده على الفور قبل أن تلمس جسدها وقالت بابتسامة تعني أنها لن تكون صيدًا سهلًا:

- هبهرك، أنا واثقة.

قام من جلسته أمامها واتجه ناحية مقعده وهو يبتسم متمتمًا - وهو يداعب بيديه ذقنه الكثيفة - بكلمتين:

(تقيلة، حلو).

دلفت السكرتيرة إلى الداخل مع أحد عمال الفندق الذي أحضر قهوتيهما. نظر إليها ثم أردف قائلًا:

- السكرتيرة هتسلمك مفتاح الأوضة بتاعتك وأي حاجة ناقصاكي قوليلها. النهاردة راحة ومن بكرة شغل.

نجحت خطوتها الأولى في اصطياده، ومع أنه زاد القلق بداخلها مما هو آتٍ فقد استشفت من شخصيته أنه أصبح لديه خبرة كبيرة في التعامل مع النساء، وهذا ما قد طمأنها بعض الشيء أو قد يعطيها بعض الوقت لتُنفِّذ كامل خطتها حيث لن يتعمد أن يضايقها على الأقل فترة كافية للانتقام منه.

***

انتهى عمر من جلسة العلاج الطبيعي التي شعر بعدها بتحسُّن جزئي في قدميه، ولكن لم يستطع بعد الاستغناء عن أحد عكازيه الخشبيين؛

أمسك هاتفه وفتح نافذة الدردشة بينه وبين صديقه أحمد حتى يعرف عنوان منزله.

لم يجد ما يبحث عنه فاضطرَّ إلى استخدام حلِّه الأخير بسؤال سما عنه التي كانت تنتظره بالمنزل،أرسل إليها رسالة على messenger:

– ابعتيلي عنوان أحمد لو معاكي.

– حاضر.

أرسلت إليه العنوان على حسب ما تذكَّرته برسالة أخرى ثم أرسلت مُتسائلة:

– ليه؟

– هروحله بعد الجلسة أسلم عليه.

– هو مش احنا المفروض هنتغدى مع بعض بعد الجلسة؟ أنا حضرت الغدا خلاص.

– مش هتأخر.

أرسل لها رسالته الأخيرة ثم وضع ملابسه داخل حقيبته الجلدية ورحل عن العيادة متجهًا إلى منزل أحمد، أثناء سيره بالطريق فتح نافذة whats app ليتفقد نافذة الرسائل بينه وبين سارة عسى أن تكون قد ردت.

وجد أن صورها على المحادثة قد اختفت نهائيًا، وأنه لا يستطيع محادثتها بعد، فتح على الفور نافذة **messenger**.

ووجد أنه أيضًا لا يستطيع أن يراسلها عليه، فَهِمَ على الفور أنها قد أغلقت كل الطُّرق التي من الممكن أن يصل إليها بها.

حاول الاتصال من رقمه مباشرة على رقمها ليفهم لكن هذه المحاولة فشلت أيضًا.

بعد أن تم وضعه في **block list** في كل جهات الاتصال.

***

ما لبثت أن أغلقت سارة على نفسها باب الغرفة بالفندق حتى ألقت جسدها على السرير، ودفنت وجهها داخل المخدة وهي تبكي.

ما تفعله وما تقدمه من تنازلات ليس بهين عليها، لم تعتد أن تظهر هكذا أو أن تسمح لأحدٍ بتخطي حدوده معها، لكنه لم يكن أمامها حلٌّ آخر تثأر به داخل هذا المجتمع.

بكت خشية من الله فنهضت على الفور بعد أن كفكفت دموعها ثم مسحت مساحيق التجميل من وجهها وتوضأت واستعدت للصلاة بعد أن ارتدت هذه المرة ملابس طويلة واسعة.

دعت بسجودها الذي أطالت فيه وبكت بحُرقة أن يغفر لها ما قدمته أو ما ستُقدمه من تنازلات قادمة، وبعد أن انتهت من صلاتها هيَّأت نفسها للنوم.

لكنها تفاجأت بصوت رنين هاتفها ينبئ عن وجود رسالة جديدة، فتحتها فوجدت إياد قد أرسل:

- بس الفندق بتاعكم ده مش قد كده.

اعتدلت في جلستها بعد أن قرأتها فردت عليه:

- بتهزر صح، إيه اللي جابك يا مجنون؟

- انتي اللي بتهزري، فاكراني هسيبك لوحدك في النار اللي رامية نفسك فيها ولا إيه؟

ثم أرسل رسالة أخرى لها جعلتها تبتسم:

- هو أينعم خراب بيوت بس فداكي يالا.

- مش عارفة أقولك إيه!

- متقوليش، خدي بالك من نفسك انتي بس، وأنا هبقى ضلك في كل حتة تروحيها من غير ماحد ياخد باله، بس في الإنجاز والنبي متطوليش المدة عشان أنا كده هشحت منك آخر الشهر.

كأنها رسالة من ربها بعد أن دعته منذ قليل في سجودها يطمئنها بظهوره. أغلقت هاتفها وذهبت إلى النوم تستعد للمصير مجهول يبدأ من الغد.

***

اعتاد احمد نوبة الاكتئاب التي أصابته بعد يوم زفاف عمر، لازَمَه كانه الهواء الذي يتنفسه، سيطر على تفكيره وأحلامه حتى عمله الذي ابتعد عنه فترة طويلة امتدت حتى الآن.

وظهور عمر وسما مرة أخرى قد زاد ما به.

حتى الكتابة صبَّ غضبه عليها وأصبح لا يدون ما يمر به، فهي السبب وراء كل ما يمر به، كان مستلقيًا على سريره فأرجع رأسه إلى الخلف وتذكَّر يوم الحادثة بتفاصيله المؤلمة لعمر وله أيضًا.

يومها كان أحمد أول الواصلين داخل المشفى ليطمئن على عمر الذي كان قد نُقل للتو إلى العناية المركزة، ثم توالى قدوم أصدقاء عمر وكذلك والده.

وجاءت سما بعد ذلك وهي تهرول ناحية العناية كي تطمئن عليه وكان خلفها صديقاتها المُقرَّبات واللاتي كن معها داخل الكوافير في أثناء هروب عمر.

تحرَّك أحمد ناحية الخارج قليلًا وهو يزيح الكرافت التي كان يرتديها للأسفل لأنه يتضايق كثيرًا من رائحة المشفى.

وفي أثناء خروجه قابل إحدى صديقات سما التي كان قد أعطاها هدية عمر لتوصلها إليها.

كانت قد تأخرت عن الفتيات اللاتي لحقن بسما ليطمئنن على عمر فسألته عن مكانهن، فأشار لها بأنهن بنهاية ردهة المشفى.

ولكن شيئًا ما لفت نظره بيد هذه الفتاة، دقّق النظر وهي تعطيه ظهرها وتتّجه نحوهن، فوجد أنها تمسك بأصابعها دفتره الصغير الذي يُدوِّن به ملاحظاته.

ناداها فوقفت على الفور، ثم سألها عن الدفتر الصغير بيدها فأخبرته أن هذه هي الهدية الذي قد أرسلها هو ليعطيها سما بالداخل.

وأخبرته أن سما عندما قرأتها هرولت مسرعة ناحية الخارج ونسيت هذا الدفتر بالداخل.

أخذ أحمد الدفتر منها ثم فتحه وتأكد أنه هو الدفتر الخاص به وأن كل شيء بداخله قد كُشف لعمر وسما معًا، أخبر الفتاة التي ما زالت مندهشة لم تفهم شيئًا مما يحدث ألّا تخبر سما أو عمر عندما يستفيق أو أي شخص آخر بأنه قد رأى هذا الدفتر معها.

وأنه إذا سألتها سما عنه تجيبها بأنها قد فقدته ولا تتذكر أين، ثم وَضَعَ الدفتر داخل جيب بنطاله الواسع وأكمل سيره ناحية الخارج واتّجهت الفتاة إلى زميلاتها بالداخل.

مُلئت عيناه بالدموع التي لم تنهمر بعد، عندما تذكر هذا المشهد، من يومها اكتشف أن أمر مشاعره تجاه سما قد فُضح، فحاول أن يحافظ على ما تبقّى من كبريائه. وتعامل معهما على أنه لا يعلم أنهما قد كشفا أمره.

فقدان ذاكرة عمر وسفره بعدها مع سما إلى الخارج قد أعطاه ذريعةً كي يبعد عنهما لأنه أصبح من المستحيل له أن يتقرب منهما مجددًا، مع أنه قد افتقدهما كثيرًا.

سمع صوت جرس الباب فنهض من فوق سريره كي يرى مَن الطارق، وعندما فُتح الباب اتسعت عيناه من الفزع عندما رأى عمر فقال مرحبًا به:

– عمر، أنت عرفت العنوان إزاي؟

فقال عمر بصوت رتيب:

–هتسيبني واقف برة.

– آه، أنا آسف، اتفضل طبعًا.

لاحظ أحمد أثناء دخوله أن صحته بدأت بالتحسُّن وأنه يستخدم عكازين خشبيين عِوضًا عن الكرسي المتحرك، وصلا إلى الصالة، فجلس عمر على الأريكة قبل أن يجلس أحمد على المقعد المقابل له.

سأله أحمد:

– صحتك عاملة إيه؟

أخبره عمر أن صحته تتحسن تدريجيًّا، وأنه يتنظم بالعلاج الطبيعي، لكنه لم يجد حلًّا في مشكلة الذاكرة.

تنهَّد عمر بعدها ثم سأل صديقه في فضول:

- أنا عايزك في موضوع أهم من صحتي.

ابتلع أحمد ريقه وتحركت عيناه يمينًا ويسارًا من القلق، فتابَع عمر:

- سارة.

حاول أحمد أن يصطنع التجاهُل وفضل الصمت.

فتابَعَ عمر بصوت واثق:

- انت عارف كل حاجة عني، ياريت تقولي هي كانت بالنسبالي إيه؟

- معرفش أكتر من إنكم صحاب، إنت مكنتش بتحكيلي كتير.

قالها أحمد بصوت مليء بالتوتر.

فتابَعَ عمر مجددًا في حدة:

- متخبيش عليا.

نهض أحمد من جلسته وأجابه وهو منفعل:

- أنا مش بخبي أنا معرفش حاجة عنك، وياريت تلاحظ إني موقفي محرج جدًّا لأني صاحبك انت وسما.

تأكد عمر على الفور أن أحمد يعلم كل شيء عن سارة، لكنه لن يخبره خوفًا من فراقه لسما، استشاط غضبًا من صديقه فأردف عمر وهو يحمل عكازيه متجهًا للخارج:

- كل اللي حواليا أكدولي إنك كنت أكتر واحد بتحبني في الدنيا، بس الحب مش بالكلام يا أحمد، الحب أفعال، وانت مستخسر حتى تفهمني الحقيقة.

مضى عمر في طريقه حزينًا بعد أن فَشِلَ آخر حَلٍّ في جعبته، حتى أحمد صديقه المُقرَّب قد خَذَلَه، لم يكن منزل أحمد بعيدًا عن منزله الذي يُقيم به مع سما، ففضَّل أن يترجل على قدميه يستنشق هواء الإسكندرية قليلًا قبل أن يذهب إلى المنزل.

كان يفكر في أن كل المؤشرات حوله تؤكد أنه كان واقعًا في حُبِّ سارة. تذكر يوم أن رآها للمرة الاولى على السُّلم المتحرك وفضوله الكبير نحوها.

فقد تذكَّرها قلبُه وعيناه لكن عقله وذاكرته أَبَيَا حتى الآن.

بدأ يتأكد أن سارة لم تعد تُحبه أو لم تحبه من الأساس، وتحاول الهروب منه.

كان قد اقترب من منزله فقرَّر أن يعبر الطريق وعقله ما زال شاردًا. نجح في عبور الطريق الأول، وما إن همَّ بعبور الطريق الثاني حتى وجد سيارة قادمةً ناحيته لونها مألوف له، في هذه الثواني القليلة لم يعبر الطريق وظل يتفحصها بعينيه.

تذكَّر على الفور انقلاب سيارته يوم الحادثة، سيارته التي كانت تشبه هذه السيارة أمامه، استفاق على صوت أبواق السيارات، لا سيما السيارة التي أمامه، وكادت تصدمه، فرجع إلى الخلف بعكازيه فسقط على الأرض على الحدِّ الفاصل بين الطريقين الذي كان آمنًا.

(عرفتي ليه بقى أنا سبت نهاية الرواية اللي كتبتها مفتوحة، صح؟)

تذكَّر على الفور جملته هذه التي قد قالها لسارة أمام إياد اللي قالت عليه خطيبها.

(النهاردة اتاكدت إني مش حاسس حاجة ناحيتها، بقالي سنة بدي لنفسي فرصة، إني أفتح قلبي ليها لكنى مش قادر أحبها فعلًا)

توالت المشاهد أمام عينيه في أثناء سقوطه على الأرض، تذكَّر حديثه هذا الذي قد قاله عن سما لصديقه أحمد الذي اكتشف أنه كان على علمٍ بكل شيء كما كان متوقعًا.

(عملوا اللي عملوه، ورموني في مكان بعيد تاني يوم الصبح، ولما رجعت للأسف لقيت خالي اتوفى، علشان كده أنا صممت أخد حقي وطلعت صحفية، وزي ما أنت شايف، أنا اللي كاتبة الخبر بنفسي في الجريدة اللي بشتغل فيها.)

عندما تذكَّر هذه الكلمات اقشعرَّ جسده ثم قال في خوفٍ:

- سارة.

حاول أحد المارة أن يساعده على النهوض مساعدًا إياه أن يلتقط عكازيه الخشبيين، وقال هذا الغريب له:

- إنت كويس؟

لم يرد عمر الذي كان وجهه قد تحوَّل تمامًا ليسكنه الخوف، التقط عكازيه وعَبَرَ الطريق بمفرده وهو غير مصدقٍ ما حدثَ له.

الآن قد تذكَّر كل شيء..

مرَّت الأيام الثلاثة الأولى عليها بين استقبال مكالمات مهمة والتحضير لمواعيد عمل فهمت فيها طبيعة العمل الذي كان يتطلب منها أحيانًا ست عشرة ساعةً من وقتها. وكانت بين ساعة وأخرى تجد رسالة من إياد يطمئنُّ فيها عليها.

انتهت من ورق تم تكليفها بإعداده وما إن همَّت لترتاح قليلًا على الكرسي خلف مكتبها حتى وجدت رامي يفتح باب مكتبه أمامها ثم وجَّه حديثه نحوها وهو واقف أمام مكتبها مباشرة قائلًا:

– حضري نفسك فيه عشاء عمل مهم كمان ثلاث أيام وهيكون في midnight.

– midnight ليه؟ إيه نوع الشغل اللي بعد نص الليل؟

لم يُجبْها وظَلَّ يُحرِّك مفاتيح سيارته بين يديه بشكلٍ عشوائي قد أربكها، ثم اقترب برأسه منها وهو يضع يديه على المكتب ليقول في أذنها بصوت هادئ مُهددًا إياها:

– معايا مفيش ليه أو إيه، فيه تنفيذ وبس.

ثم أشار ناحية الباب بيده اليُمنى، وأكمل وهو ما زال بجانب أذنها:

– ولو مش عاجبك ممكن تمشي، عادي.

ثم اعتدل في وقوفه وقال متسائلًا:

– ها؟

لم تُجبه ونظرت ناحية أوراقها على المكتب، فأكمل ونشوة الانتصار تملكه:

- حيث كده عايزك تلبسي أشيك فستان عندك يومها.

ثم تَرَكَها ورَحَلَ بعد أن أنهى عمله، تركها تموت قهرًا مِن تحكُّمه بها.

***

- مالك؟

قالتها سما في فضول لعمر الذي كان جالسًا على الأريكة فنظر ناحيتها. فتابعت مجددًا:

- متغير من إمبارح.

لم يَقُلْ لها إنه قد تذكَّر كل شيء، وأنه قد عَلِمَ أنه لم يُحبها من البداية، كل تفكيره ينصبُّ الآن حول سارة التي شعر أنها في خطر بعد أن تذكر حادثتها المؤلمة.

وأيضًا الكابوس الذي راوده منذ أيام، حاول تغير دَفَّة الموضوع قائلًا وهو ينظر ناحية قدميه:

- إمتى أقدر أمشي عليها من غير عكاز؟ أنا زهقت خلاص.

وضعت فنجان القهوة الذي كان بيدها ثم قالت:

- فيه حاجة عرفتها من الدكتور النهاردة ولازم أقولهالك.

- خير؟

قالها في قلق فأجابته في اهتمام:

-الدكتور قالنا إن اه فيه تقدم في علاجك، لكن انت مش هتقدر تدوس على رجلك بشكل كامل لإن فيه مشكلة في الأعصاب، ولازم تتحل بأجهزة أحدث مش موجودة في مصر.

- يعني إيه؟

قالها في قلقٍ، فأجابته على الفور:

- يعني هنرجع نكمل علاج في باريس.

صمتت قليلًا تُتابِعُ تعبيرات وجهه القلقة، ثم أردفت قائلة:

- فيه طيارة كمان أربعة أيام، أنا حجزت عليها، لأن مقدمناش حل تاني.

***

انهمكت سارة في عملها محاولةً أن تُدقق في كل شيء حولها، عسى أن تجد طَرَفًا يُوصلها لُمرادها، لكن بلا فائدة.

وجدت شابًّا يخطو بخطوات سريعة ناحية مكتب رامي، وكان يعطيها ظهره، فقالت له:

- لو سمحت، حضرتك رايح فين؟

التفتَ ناحيتها، وهنا كانت الصاعقة الثانية التي نزلت عليها، وجدت الشابَّ الثاني الذي قد انتهكَ عِرضها مع رامي، شابٌّ له بشرة سمراء،

قصير القامة، وشعر خشن، يبتسم أمامها، ومن ابتسامته يظهر أمامها صفُ أسنانه غير المستوي، قال لها ساخرًا وهو يفتح الباب بقبضة يدِه:

- هما جابوا صاروخ جديد هنا من إمتى؟

فتحدَّثت سارة مع بنبرة أكثر حدة قائلة:

- لو سمحت استنى.

لم تنجح خُطتها في إيقافه، فهو قد فتح الباب، وظهر أمامه رامي الذي ابتسم على الفور، وأشار ناحيتها بأن تسمح له بالدخول وهو يتحدث بالهاتف الأرضي.

انتهى رامي من مكالمته وهو يقول (طب باي يا حبيبتي، هكلمك تاني).

ثم نهض من مقعده وقال لسارة التي ما زالت ترمق هذا الغريب بنظرات كادت تخسف به الأرض:

- ده عادل أنتيمي.

ابتسم عادل ساخرًا، منها ثم أشار إلى رامي بالخروج معه قائلًا:

- عايزك في مصلحة بره كده مش هتاخد دقايق.

مضى رامي مع صديقه عادل في طريقهما إلى الخارج قبل أن ينظر إلى الخلف على جسد سارة، وأردف قائلًا:

- المرة دي نقاوتك في الجون، ابقى عرَّفها أنا مين؟

كان تودُّ أن تمتلك مسدسًا في هذا الوقت لتفرغه فيهما فقد اجتمعت الشياطين في وقت قياسي لم تكن تتوقّعه.

ألقتْ نظرةً على مكتب رامي، فوجدت أنه قد غفل عن هاتفه المحمول، فظهرت في رأسها فكرة ستساعدها على إيجاد ما تبحث عنه. أخرجت هاتفها ثم أرسلت لإياد رسالة بها:

- إياد ممكن طلب؟

مرت ثانيتان حتى ردَّ:

- طبعًا.

- عايزاك تعطلي رامي أكبر وقت ممكن، هو برة المكتب دلوقتي ومعاه واحد صاحبه.

ثم أرسلت له رسالة أخرى بها أوصاف هذين الشخصين، فسألها إياد بعد أن فكّر قليلًا:

- قوليلي نوع عربيته إيه وراكنها فين؟

***

تحرّك إياد بسرعة من غرفته ناحية المرأب الذي كان يضع رامي بداخله سيارته.

أخذ يبحث مسرعًا يمينًا ويسارًا عن المواصفات التي أعطته إياها سارة، فوجد سيارته مترَوية بأحد الأركان التي كانت باهظة الثمن يتخطى ثمنها

الملايين من الجنيهات، راقَبَ الوضع أولًا قبل أن يُخرِجَ من جيب بنطاله قطعة حديد لها سُمْكٌ رفيع، ثم مَرَّ بالترتيب على العجلات الأربع، وأفرغ من داخلها الهواء، وهوت السيارة على الأرض كان يريد أن يُهشِّم السيارة كلها، لكنها كانت موصلة بجهاز إنذار فخاف أن يُكتشف أمره، تحرَّك إلى نهاية الممر ثم أمسك بحجر صغير ثم ألقاه ناحية زجاج هذه السيارة كي يلفت الانتباه فدوى صوت الإنذار على الفور.

اختفى وراء سيارة أخرى كانت قريبة من الباب، تحرَّك العامل المسئول ناحيتها الذي كان في العقد الرابع من عمره، ويرتدى زيًّا خاصًّا بمثله من العمَّال؛ نظر بحسرة إلى عجلات السيارة التي بالتأكيد سيتلقى توبيخًا يكفيه عمره بأكمله بسببها، فأبلغَ رئيسه على الفور بأمرها الذي أبلغ رامي على الفور.

هَرْوَلَ رامي هو وعادل ناحيتها، تارة يسبَّان العامل، وتارة أخرى يتلفظان بأبشع الألفاظ لمن قام بهذا الفعل، كل هذا وسط ترقُّب إياد الذي كان يكتم ضحكته خلف السيارة كما هو. بدأ بالانسحاب من المرأب مُستغلًّا انشغالهم بأمر السيارة وانتظرهم بالخارج.

خرجا معًا من المرأب بعد عدة دقائق، وتوجَّها ناحية المصعد ليستقلاه مُجددًا ويصعدا إلى مكتب رامي، ضغط رامي على زر المصعد بغضب وهو يتحدث مع عادل، ما إن أغلقا باب المصعد حتى وجدا إياد الذي كان ممسكًا علبة مياه غازية مغلقة (كانز) بيده وباليد الأخرى أوقف باب المصعد قبل أن يُغلق.

دلف إياد إلى داخل المصعد ليقف مباشرة بجانب رامي، تحرَّك المصعد لأعلى واستغل إياد انشغالهما بالتحدث معًا ثم أخذ يقلب علبة المياه الغازية بشكل رأسي حتى تحدث فورانًا في أثناء فتحها، وقف المصعد ليأتي دور إياد بالخروج منه، استغل الاهتزاز البسيط الذي حدث في أثناء وقوف المصعد، ثم فتحها على الفور ناحية وجه رامي وقميصه الأبيض ونجحت خُطته حيث فرغت نصف الزجاجة تقريبًا على وجهه وصدره، فاستشاط غضبًا، فأشار إليه اياد مُعتذرًا قبل خروجه من المصعد:

- أسف عندي فوبيا من الأسانسير.

انشغل رامي بمسح قمصيه الذي اتسخ كُليًّا، بينما صاح عادل غاضبًا:

- مش تفتح يا عم انت.

أشار رامي لعادل بأن يصمت لأنه داخل فندقه والأمر لا يستحق المشاجرة مع الزبائن، ثم أردف قبل أن يُغلق باب المصعد ويتحرك بهم لأعلى:

- هغير هدومي فوق خلاص، هو يوم باين من أوله.

اختفى المصعد من أمام إياد فأخرج هاتفه من جيب بنطاله وأرسل لسارة:

- كله تمام، معاكي خمس دقائق زيادة.

***

وصلت لسارة رسالة إياد بعد دقائق كانت تنتظر فيها على المكتب، فهرولت ناحية المكتب وأمسكت بهاتفه وفتحته وبدأت بالبحث داخل المحادثات.

في بداية الأمر لم تجد شيئًا غريبًا، كلها أشياء متوقع حدوثها، أغلب محادثاته مع نساء لم تجد بداخلها غير صور قد أثارت اشمئزازها، وجدت أيضًا نافذة محادثة بينه وبين زوجته لم يكن بها شيء غريب.

زادت الحيرة بداخلها فحاولت أن تُغير طريقة بحثها لأن العشوائية لا تُجدي. خَطَرَ ببالها أن تبحث عن صديقه الثاني عادل، وجدت نافذة المحادثة بينهما، وكان في بداية الرسائل بينهما مزاح بأبشع الشتائم والسباب، حركت مؤشر الرسائل لأعلى حتى وصلت إلى رسائل كانت بينهما منذ أكثر من سنة. وجدت رسالة من عادل لفتت انتباهها واقتربت برأسها من الشاشة كي تقرأ ما بها:

- الرهان النهاردة على إيه؟

وجدت بعدها صورة امرأة في أوائل عقدها الرابع قد أرسلها رامي له ثم سأله:

-إيه رأيك في دي؟

بدأت دموعها المحبوسة داخل عينيها تنهمر، ثم قرأت رد عادل والذي كان:

- ياعم لا دي ممكن متستحملش وتموت في إيدنا.

كانت تقرأ غير مصدقة عينيها، ما يحدث الان يفوق الخيال فأعراض البشر كانت لعبة بين أيديهما، أكملت قراءة الرسائل حتى تتضح الصورة لها.

داعب رامي صديقه كثيرًا برسائل يؤكد له بداخلها أن كل شيء سيكون على ما يرام وألّا يخاف، ثم أرسل رامي رسالة أخيرة حتى يُطمئنَ صديقه:

- حتى لو ماتت أو حصلها حاجة، دي نازلة في الفندق هنا لوحدها، يعني كله أمان، ندوس بكرة؟

وكان رد عادل:

- تعالى تلفون ورسيني على التفاصيل.

أدركت على الفور أنها امام عصابة، ولم تكن حادثتها هي الأولى أو حتى الأخيرة.

نسخت الرسائل بينهما بعد أن وجدت أخيرًا ما تبحث عنه.

ما لبثت أن وضعت الهاتف على مكتبه مُجددًا حتى لا يكتشف أمرها حتى وجدته أمامها وهو يمسح وجهه بمنديل ورقي من آثار المياه الغازية، ثم قال:

- بتعملي إيه؟

***

(كل اللي حواليا أكدولي إنك كنت أكتر واحد بتحبني في الدنيا، بس الحب مش بالكلام يا أحمد، الحب أفعال.)

الفترة الطويلة التي جلسها أحمد وحيدًا بمنزله منذ الحادثة قد جعلت تفكيره ينضج كثيرًا، فهم أشياء في شهور كان من الممكن أن يعيها في سنين طويلة. دار حديث عمر بمخيلته، حديثه الذي حرَّك الكثير بداخله.

كيف أنه أخطأ في حَقِّ صديقه منذ البداية؟ وكيف أنه كان يبحث فقط عن سعادة سما معه؟ ولم يفكر ثانية في أمر سارة الذي تملك حبها منه.

شعر بأنانية داخله، رغم أنه دائمًا كان يتعمد إيثار صديقه على نفسه، إلا أنه اكتشف في النهاية أن كل هذا كان في الاتجاه الخاطئ. فدَفَّة الحب لا يمكن التحكُّم بها أو توجيهها. وتمنى لو أن بيده أمرًا واحدًا يُصلح به كل ما فات.

عاد لاستخدام هاتفه مُجددًا الذي كان قد أغلقه فترةٍ طويلة، ثم فتح facebook الخاص به بعد أن تعمَّد ألَّا يفتحه هو أيضًا، فوجد عشرات الرسائل وطلبات الصداقة والإشعارات، فتح الرسائل على الفور فوجد إشعارًا لرسالة مكتوب أعلاها (new message request) من إيميل لم يستطع تحديد هُويته كان باسم BROKEN Heart، فتح الرسالة التي كانت منذ شهور، وَجَدَ بها:

- أستاذ أحمد ممكن دقيقة من وقتك، أنا سارة.

ها قد أتت فرصته ليصلح كل شيء.

***

أجمعت سارة كل ذرة من قواها في تلك اللحظة التي وجدته أمامها فيها ثم قالت في دلال:

- أبدًا، لقيتك نسيت تلفونك فكنت هشيله معايا لما تيجي.

ألقى منديله الورقي على الأرض واقترب منها فجأة مُحاولًا تقبيلها لكنها ابتعدت عنه ثم قالت:

- مش هنا، اصبر.

وصلت حتى عتبة الباب، فتابَعَ هو قائلًا:

- هصبر، بس مش كتير.

رَحَلَت مُسرعة إلى مكتبها بالخارج تكفكف دموعها التي انهمرت مُجددًا، فتحت الحاسوب واستعملت حِسَّها الصحفي وبحثت على الإنترنت عن جريمة اختطاف أو اغتصاب حدثت في أثناء السنة الماضية بالساحل الشمالي.

ظهرت لها عدة صور من بينها صورة قد جعلت ضربات قلبها تزداد عندما دقَّقت بها، فتحت هاتفها وقارَنت بين الصورتين فوجدت نفس السيدة التي كان رامي قد أرسل صورها لعادل.

وجدتْ خبرًا أسفل الصورة عن جثة مُلقاة بالساحل الشمالي لسيدة في عقدها الرابع تم الاعتداء عليها جنسيًّا مما أدى إلى وفاتها في الحال.

أرسلت ما وجدته على الفور لإياد الذي ردَّ عليها:

- حلو جدًّا ده بداية الخيط، بس متنسيش إنك حتى الآن معندكيش دليل كافي، وإن المحادثات اللي معاكي سهل جدًّا يقولوا عليها مضروبة.

فهمت ما يُحذرها بشأنه، وأكّدت أنها ستُكمل طريقها لتكشف الحقيقة، وأخبرته بخط سيرِها، وأيضًا عن عشاء العمل الذي سيكون غدًا بمنتصف الليل، فقد تُكتشف أمورٌ جديدة يومها عندما تخالطهم.

- أنا هبقى على اتصال معاكي ثانية بثانية يومها، ده في حالة لو معرفتش أدخل المكان ده وراكي.

أرسل إياد رسالته الأخيرة لها، وقبل أن تغلق _messenger وجدت رسالة غير مُتوقّعة بها:

- عاملة إيه يا سارة؟

كانت من أحمد ردًّا على رسالتها التي قد أرسلتها ونسيت أمرها منذ شهور وهي بالإمارات، كانت قرّرت ألا ترد لأن الوقت لا يسمح، لكنه أرسل لها رسالة ثانية بها:

- كنتي هتساليني عن عمر أكيد؟

فردَّت:

- الحمد لله أنا كويسة، مبقاش ليه لازمة السؤال دلوقتي.

ثم أرسلت رسالة أخرى لتغلق النقاش:

- كتر خيرك.

وقرَّرت أن تغلق النافذة لكن فاجأها رسالة أخرى جعلتها تقرأ في

اهتمام.

- بس عمر لسة بيحبك، حتى وهو فاقد الذاكرة بيدور عليكي وعنده أمل فيكي.

فأجابت بعدما تملك منها الخوف:

- فاقد الذاكرة!

- هو انتي متعرفيش؟

- لا معرفش غير إنه عمل حادثة بس وحتى تفاصيلها معرفهاش.

- عمر يوم فرحه بسما ساب الفرح وجالك الكافيه وغالبًا انتو اتخانقتو أو ملقكيش. ركب بعدها العربية واتقلبت بيه جاله فقدان ذاكرة، وشلل جزئي في رجليه. ممكن يكون كلامي متاخر شويتين بس أنا بحاول أصلح أخطاء كتير حصلت مني قبل كده وأفهمك إن عمر فعلًا بيحبك جدًا ولحد دلوقتي.

كانت رسالته الأخيرة كأنها نار اشتعلت بجسدها، أدركت أنها قد ظلمته وأنها السبب وراء كل ما حدث له من مصائب، وأن سما قد تصرفت من تلقاء نفسها عندما قابلتها وطلبت منها أن تبتعد عنه. رق قلب سارة وعادت مشاعرها تعمل من جديد، ولو أن الأمور تسمح لها لكانت هرولت مسرعة ناحيته كي تعتذر عما بدر منها وتبقى بجانبه في محنته، لكن لا مجال لذلك الآن.

***

ذَهَبَ هذه المرة بمفرده إلى مكانه المُفضَّل الذي تذكَّر كل تفاصيله، هنا قد صارحها بحبه، وهنا أيضًا قد افترقا.

بعد أن جلس على طاولته المفضلة، أخذ يفكر ويبحث عن السبب الحقيقي وراء بعدها عنه، حتى أن أبسط الوسائل التي كان من الممكن أن يصل لها بها قد أغلقتها بوجهه، تألَّم كثيرًا بعد أن تذكر أمر حادثتها وأنها قد تكون بخطر الآن. وما زاده ألمًا أنه سيغادر مصر غدًا ليُكمل علاجه، ولم يكن أمامه حلٌّ آخر، لكنه على يقين أنه سيعود إلى هنا مجددًا بعد أن ينتهي من علاجه.

تذكر يوم الحادثة بتفاصيله بعد أن رأى إياد معها، هنا في نفس المكان الذي كان شاهدًا على حبهما، مهلًا، لِمَ تأتِ هي وهذا الشخص التي كانت تدعوه مخطوبها إلى المكان الذي يُذكِّرها بي؟

ظهر الأمل داخل عينيه اللتين اتسعتا على الفور، قد اكتشف أمرًا أحيا بداخله كل شيء، إنها لم تحب إياد من الأساس.

(هذا يعني أنها لم تنسني، وإنما كان كبرياؤها!؟)

دار بخلده كل هذه الأفكار والتساؤلات التي قرر بعدها أن يبحث عن إياد ليطمئن من خلاله عليها، فكرة مجنونة وقد يتلقى التوبيخ بسببها، ولكن قد تنجح.

بحث في بداية الأمر عنه على Facebook لكن لم تنجح محاولاته، فهو لم يعرف غير اسمه الأول فقط، خَطَرَ ببالها فكرة قد فعلها من قبل بحثًا عن سارة.

الجريدة!

تَرَكَ نقودًا على طاولته ثم ذهب على الفور إلى عنوان الجريدة الذي تذكره جيدًا. فهذا هو الاحتمال الأكبر أن يكون إياد صحفيًا مثلها بنفس الجريدة ويعلم قصتها، فهو يعرف سارة جيدًا، لن تقبل بخطبتها الا مع شخص قد عرف كل شيء عنها، وبالأخص حادثتها.

استقلّ سيارة أجرة من أمام الكافيه، وعندما وصل أمام الجريدة ترجَّل ناحية الاستعلامات ثم سألهم عن إياد.

سألته موظفة الاستعلامات عن اسمه الثاني كي يسهل البحث عن مُراده، فوضع يده على رأسه كي يخرج من هذا المأزق ثم تذكَّر أمرًا قد يُفيده:

– أه هو في قسم أخبار المجتمع.

فقالت موظفة الاستقبال وهي تهزُّ رأسها: (أه، إياد حسني).

أومأ برأسه بالموافقة كي تُعطيه معلومات عنه، فقالت هي:

– واخد إجازة شهر.

– طب ممكن رقم تلفونه ضروري جدًّا؟

ضمَّت الموظفة شفتيها، ثم قالت معتذرة وهي تُحرِّك رأسها يمينًا ويسارًا:

- أسفة يافندم مش هينفع أطلع أي معلومات.

ألحَّ عليها لكن دون فائدة، فمضى يائسًا في طريقه إلى الخارج، أخرجَ هاتفه وحاول محاولته الأخيرة في البحث عن إياد حسني على موقع التواصل الاجتماعي facebook.

ظهر له ثلاثة أشخاص، بدأ بفرزهم واحدًا تلو الآخر حتى نجح بأن يصل للاحتمال الأكبر لكون هذا الشخص إياد بعد أن وجد داخل إيميله معلومات تُشير أنه يعمل صحفيًّا بالإسكندرية، لم يتردد بأن يرسل على الفور له رسالة على messenger:

- إياد أنا عمر الكاتب صديق سارة لو فاكرني؟ عايزك ضروري جدًّا؟

***

انتهى عمر وسما من تجهيز حقائبهما للسفر حيث إن موعد الطائرة في تمام الثانية صباحًا، وقد تبقّى لديهما ثلاث ساعات من الآن قبل الرحيل.

لم يكن عمر يوافق على السفر من الأساس إلا لثقته بالعودة مُجددًا إلى مصر. أخذ هذه المرة حاسوبه الخاص ولم يتركه، وعندما التقط هاتفه وَجَدَ رسالة نصية من إياد ردًّا على رسالته التي كان أرسلها أمس:

- فاكرك أكيد. تحت أمرك؟

- لو إنت لسة على اتصال مع سارة ممكن تطمني عليها أرجوك؟ وأسف لو بعطلك، بس انا معرفش حد غيرك ممكن تكون هي بتكلمه.

أرسل عمر رسالته وانتظر أكثر من ساعة حتى يرد عليه، لكن بلا فائدة، فإياد غير متصل من الأساس، وضع هاتفه في بنطاله ثم تحرك ناحية الصالة منتظرًا انتهاء سما من ارتداء ملابسها ثم سيتحركان بعدها مباشرة إلى المطار.

***

ارتدت فستانًا أسود مصممًا خصيصى للسهرات من مثل هذا النوع، أظهر الفستان المفتوح قليلًا أنوثتها الطاغية، يزينه سلسلة فضية مميزة لم تنزعها من رقبتها طوال عمرها، حيث إنها كانت هدية من أمها قبل وفاتها.

وضعت قليلًا من مساحيق التجميل؛ لأنها كانت قد تأخرت عن ميعادها وتبقى لديها القليل من الوقت.

خرجت من غرفتها ثم استقلت المصعد للدور الأرضي وبالخارج وجدت سيارة من السيارات الخاصة برامي تنتظرها بالخارج حتى تنقلها للمكان كما أمرهم رامي.

وصلت إلى المكان المنشود الذي كان له تصميم قد أبهرها من الخارج. دلفت إلى داخله بصحبة أحد رجال رامي، فلم تجد المكان كما توقعت، وجدته مليئًا بالخمور والنساء العاريات والمصابيح الملونة التي ضايقت عينيها، بالإضافة إلى الموسيقا الصاخبة داخل أذنها، أشار إليها الرجل إلى طاولة بها شابّان، استشفت من ظهريهما أنهما رامي وعادل.

جلست على المقعد بينهما، فالتفتا لها قبل أن تقول لهما:

– عشاء عمل إيه اللي ممكن يبقى هنا؟

حرَّك عادل بصره ناحية جسدها ثم أجابها وهو يُحرِّك رأسه:

– هو فيه عمل أكتر من كده؟

تحوَّلت ملامحها للعبوس، فقال رامي مازحًا مُشيرًا إلى الراقصة التي أمامهم:

– مالك متضايقة ليه، فرفشي حبة.

ثم نظر تجاه عادل وأكمل ساخرًا في خُبث:

– كلها ساعتين وهنبدأ العمل كله.

أخذت تُراقب المكان في مللٍ ثم سمعت صوت رنين الرسالة ففتحتها وكانت من إياد:

– أنا واقف برة، ومش عارف أدخل، المكان ده برايفت جدًّا.

فأرسلت له:

– أنا خايفة أوي يا إياد، ده مطلعش مكان لأي شغل؛ وشكلهم ناويين على حاجة.

– طيب شيلي التليفون من إيدك عشان ميلاحظوش، واقعدي نص ساعة واتحججي إنك تعبانة ولازم تروحي.

وضعت هاتفها في حقيبتها، لم تمر دقائق حتى جاء شابٌ ثالث، سلّم على رامي وعادل بحرارة ثم مَدَّ يده ناحية سارة فبادلته التحية.

لكنها لاحظت أن ملامحه قد تحوَّلت عندما رآها وأن عينيه قد ضاقتا وهما مثبتتان نحو السلسلة التي كانت ترتديها وتزين صدرها.

قدَّم رامي هذا الشاب الذي كان متوسط الطول، وله شعر أسمر قصير، وعينان واسعتان بنيتان تضيفان له وسامة قائلًا:

- ده خليل، الضلع التالت في شلتنا.

جَلَسَ رامي لكن خليل ظَلّ واقفًا وتحوَّل وجهه ليصبح غاضبًا ومُرتبكًا، فأشار ناحية رامي وعادل قائلًا:

- عايزكم برة.

رَدَّ عليه عادل قائلًا:

- ياعم اتكلم مفيش حد غريب.

فتابع خليل بصوتٍ به حدة:

- بقول عايزكم.

نهض الشابَّان اللذان ظلا ينظران لبعضهما البعض مندهشين من صديقهما الثالث. وصلا معه حتى نهاية الممر، ثم قال مُشيرًا ناحية الطاولة التي تجلس عليها سارة:

-عارفين اللي قاعدة هناك دي تبقى مين؟

لم يهتم رامي الذي كان يحرك جسده ويرقص على الألحان الصادرة من السماعات الكبيرة بالمكان بينما نَظَرَ له عادل ثم قال:

- مين يعني؟

فرد خليل في عصبية:

- دي كانت رهان من رهانتكم قبل كده؛ او بمعنى اصح الرهان الوحيد الى حضرته معاكم .

توقّف جسد رامي عن الحركة واتسعت عيناه مذهولًا، فأكمل خليل:

- الموضوع كان من 6 أو 7 سنين وانتو كنتوا مأفورين جامد يومها عشان كده مستحيل تفتكروها، لكن أنا شوفتها وفاكرها كويس لأني مكنتش شارب أي حاجة زيكم، وهي مشفتنيش لأنها كانت متخدرة في الكرسي اللي ورا، يومها يا رامي انت كلمتني عشان أسوقلكم العربية عشان محدش منكم كان شايف قدامه. والى أكدلى ده السلسلة اللي لابسها في صدرها دلوقتي هي نفس السلسلة التي كانت لابساها يومها.

وَضَعَ رامي يديه حول رأسه بينما ظل عادل يُحرِّك رقبته يمينًا ويسارًا غير مصدق. وأبقى رامي يدًا واحدة فوق رأسه، ثم أشار بيده الثانية ناحية عادل قائلًا:

- عادل البت دي مش هتروح النهاردة.

فقال خليل في غضب شديد وبصوت عالٍ:

- تاني، هتودي نفسكم في داهية.

وَضَعَ رامي يده على فم خليل كي يصمت فأزال خليل يده، وأكمل بصوت هادئ:

– المرة اللي فاتت عدت على خير في الفندق ومحدش عرف يوصلكم، إنما المرة دي انا مليش دعوة بيكم ياعم، ياكش تولعوا.

قال كلماته ثم تحرَّك ناحية الخارج، حاول عادل أن يمنعه لكن رامي قال:

– سيبه يمشي خلاص.

دَاعَبَ رامي ذقنه قليلًا ثم قال لعادل:

– أنا هسيبها تروح عشان متعملش دوشة في المكان، وانت اطلع برة وخد معاك اتنين من رجالتي وحطوها في العربية ووديها الشاليه القديم بتاع أبويا، عارفه؟

أومأ برأسه أنه يعرف المكان، فأعطاه رامي مفاتيح الشاليه وقبل أن يرحل ناحية الطاولة سأله عادل:

– وانت مش هتيجي؟

– أنا لازم أتنيل أقعد معاها عشان متشكش، وبعدها أجيلك، روح بقى.

توجَّه عادل ناحية الخارج بينما تحرَّك رامي ناحية الطاولة وهو يبتسم حتى لا تشك بأمره، فسألته سارة في فضول:

- ماله خليل صاحبكم؟

فأجابها وهو يشرب من الخمر الموضوعة أمامه:

- مفيش قفش كالعادة ومشي. هو على طول بيقفش كده.

نظرت أمامها تُراقِب المكان في مللٍ مُجددًا حتى أردف هو قائلًا:

- تقدري تروحي، السهرة فاكس خلاص.

***

كان إياد منتظرًا بالخارج داخل سيارته يُراقب الوضع وينتظر انتهاء سارة للاطمئنان عليها، لاحظ خروج سارة من المكان، وما لبث أن تحرك بالسيارة نحوها حتى وجد سيارة سوداء تقف أمامها مباشرة.

خرج منها ثلاثة رجال، اثنان منهم كانا بزيٍّ أسود، أمسكا سارة التي قاومت قليلًا ثم أدخلاها داخل السيارة، وانطلقا على الفور وسط ذهول إياد.

انطلق على الفور خلفهم وهو يضرب بيده على موجة الإطارات غير مصدق ما يحدث أمامه، كأنه يشاهد فيلمًا أجنبيًا سخيفًا.

صَبَّ تركيزه كله حول السيارة التي تتحرك أمامه، سمع صوت رسالة قادمة له. فتحها كانت من عمر، تَرَكَ الهاتف ولم يرد في بداية الأمر.

فكَّر قليلًا، إنه يحتاج إلى مَن يفكر معه ويسانده في هذه الأزمة التي لم يحدد حتى الآن كيف سيتعامل معها، فتح الرسالة ووجد بها:

– لو انت لسة على اتصال مع سارة ممكن تطمني عليها أرجوك؟ وأسف لو بعطلك بس انا معرفش حد غيرك ممكن تكون هي بتكلمه؟

كتبَ له بيدٍ وباليد الأخرى كان يتابع قيادته خوفًا من أن يضل طريقه خلفهم:

–سارة في خطر.

تَرَكَ هاتفه وتابَعَ مُراقبتهم، حتى استقروا بجانب شاليه قديم بشارع مهجور من المارة، وَقَفَ إياد على بُعد عشرات الأمتار منهم حتى لا يُكشف أمره. راقَبهم وهم يخرجون الفتاة من السيارة والتي كانت على الأرجح فاقدة الوعي.

تحركوا بها ناحية الداخل، ثم خرج الرجلان اللذان كانا يرتدان زيًّا أسود إلى الخارج يقفان على البوابة، وبقى عادل بالداخل معها.

تَرَكَ إياد لنفسه بعض الوقت كي يفكر في الخروج من هذه الورطة وهو ما زال داخل السيارة.

***

وصلا معًا إلى المطار، دلفا إلى الداخل، سمع عمر صوت هاتفه يُنبئ عن قدوم رسالة نصية له، فَتحَها وهو يتحرك بجانب سما.

– سارة في خطر.

تسمَّر على الفور بمكانه، فنظرت له سما التي سبقته بخطوة مندهشة. ثم قالت:

- في إيه؟

الآن يُوضع عمر للمرة الثانية بين اختيارين مصيريين، بين أن يُكمل حياته ويسافر مع سما التي تُحبه، أو الاختيار الثاني الأصعب دائمًا ومواجهة المخاطر مرة ثانية من أجل سارة التي يحبها ويشعر أنها بحاجة إليه الآن.

وَقَفَ صامتًا لثوانٍ يفكر ثم قال لها:

- أنا مش هسافر.

تكوَّنت دموع محبوسة في عينيها على الفور ثم قالت:

- سارة برضو؟

فأجابها عمر بصوت هادئ:

- أه أنا بحب سارة ؛ وهي محتجاني دلوقتي أكتر منك.

بكت على الفور عندما اكتشفت للتو أنه قد استرجع ذاكرته، وأنه هذه المرة سيذهب من بين يديها دون رجعةٍ، فأجاب مُعتذرًا قبل أن يمضي إلى الخلف مُسرعًا:

- أنا أسف.

تحرَّك عمر ناحية الخارج، وتَرَكَ سما حائرة تبكي بحُرقةٍ على أحد مقاعد الاستراحة الموجودة داخل المطار، شعرت بدوار برأسها وأن قدميها لا تحملانها.

لم تجد أحدًا بمصر تلجأ إليه في هذا المأزق إلا أحمد، أخرجت هاتفها ثم اتصلت به على الفور، مرت ثوانٍ معدودات حتى أجاب أحمد عليها:

- عمر إزيك؟

كان يظن أن عمر مَن يتصل به من هاتف سما، فأجابت سما وهي تبكي:

- أنا سما يا أحمد، أرجوك الحقنى أنا محتجاك أوي.

ثم نظرت في ساعتها اليدوية حيث تبقى ساعة ونصف على إقلاع الطائرة وأردفت قائلة:

- أنا في المطار.

***

استقلَّ عمر سيارة أجرة، وفي أثناء تحرُّكه بعيدًا عن المطار قد راسل إياد وطلب منه رقم هاتفه، أعطاه إياد رقمه فاتصل عمر على الفور:

- خطر إيه، فهمني واحدة واحدة؟

فأجابه إياد بصوت قلق:

- سارة لقيت العيال اللي اهجموا عليها وحاولت تتقرب منهم عشان تلاقى دليل، وغالبًا هي لقيته، بس فجأة اتحطت في عربية ونقلوها مكان مهجور؛ شكلهم كشفوها، وأنا قاعد في عربيتي قدام الشاليه ده براقبهم من بعيد، ومش عارف أتصرف إزاي.

فسأله عمر على الفور عن مكانه، فأجاب إياد:

- الساحل الشمالي.

أعطى عمر سائق سيارة الأجرة إشارة بالاتجاه إلى الساحل الشمالي بعد أن أخذ العنوان بالتفاصيل من إياد ثم أردفَ قائلًا:

- نص ساعة وهكون عندك، خليك صاحي معاهم ومتمشيش من مكانك.

وصلَ أحمد إلى المطار بعد نحو ساعة من مكالمة سما، وجدها مترِوية بأحد الأركان ووجهها كان شاحبًا أصفر من كثرة البكاء، اقترب منها ثم سألها في فضول:

- إيه اللي حصل؟

نظرت إليه ثم أكملت بكاءها بعد أن قالت:

- عمر سابني وراحلها تاني.

جلس بجوارها ثم قال بصوت رتيب دون أن ينظر لها:

- ما ده كان متوقع إنه يحصل تاني من يوم الفرح يا سما.

ثم تابَعَ ساخرًا:

- ومش بسببي أنا بس، ده بسببك انتي كمان.

فأجابته وهي مندهشة:

- وانت إيه علاقتك؟

فتابَعَ وهو يبتسم ساخرًا:

- أنا عارف إنك انتي وعمر عارفين الحقيقة ورا مشاعري ناحيتك.

ارتعدت خوفًا من حديثه، لكنه تابَع بنفس النبرة:

- بس متخليناش نرمي هروب عمر على شماعة إنه عرف مشاعر صاحبه تجاه خطيبته، لأن السبب الأساسي هو انتي، هو عمره ما حبك وانتي عارفة ومتأكدة من ده.

ثم نظر ناحيتها وأكمل:

- عارفة الفرق بيني وبينك إيه، إني من البداية كنت عارف إن انتي مش ليا عشان كده قررت أبعد، أما إنتي فكنتي عارفة إن عمر مش بيحبك وبرده فضلتي متمسكة بحاجة إنتي عارفة إنها مش بتاعتك في الآخر.

شبَّكت يديها إحداهما بالأخرى من التوتر الذي نَشَبَ عن حديثه، نَظَرَ بساعته اليدوية فوجدها الواحدة والنصف، أي يتبقى نصف ساعة على موعد إقلاع طائرتها ثم قال لها وهو ينهض من جلسته:

- سافري يا سما.

ابتعد عنها خطوتين ثم وجَّه بصره نحوها وهو يبتسم، ثم أردفَ قائلًا:

- سافري وسيبي القدر يحكم، محدش فينا بياخد كل حاجة اتمناها.

لأول مرة ترى الوجه الآخر من أحمد الذي كان من عادته أن يمزح دائمًا ـــ لأول مرة ترى أحمد الحقيقي.

رَحَلَ جسده عن بصرها، فتحرَّكت ببطء وهي تحمل حقيبتها ناحية طائرتها. تتجه نحو الطائرة التي أوشكت على الإقلاع وهي ما زالت تنظر خلفها.

***

وصل عمر أمام سيارة إياد، نقر على الزجاج ففرّ إياد مفزوعًا، لكن عندما نظر ناحية الطارق وجده عمر فاطمأنّ ثم فتح له باب السيارة.

- ألف سلامة.

أول ما قاله إياد لعمر عندما وجده يتعكز على عكازين خشبيين، جلس عمر داخل السيارة بعد أن بادله التحية، ثم قال له:

-فين الشاليه ده؟

أشار إليه إياد ناحية مبنى على بعد عشرات الأمتار منه يقف أمامه رجلان ضخمان، فتابَع عمر قائلًا:

- طب والعمل؟

اتفقا معًا على خطة للدخول، فتوجَّه عمر بعكازيه ناحية الشاليه على الفور، وما لبث أن وجد الرجلين حتى جاء أحدهما ناحية عمر وظل الآخر بجانب المبنى، ولكنه كان يُراقبهما، فقال عمر وهو ينظر ناحية المباني والذي كان يتعكز بيدٍ واحدة واليد الأخرى كانت مضمومة ممسكة بشيء فوق عكازه الثاني:

- لو سمحت شاليه 31 فين؟

وقبل أن يرد الرجل الضخم فاجأه عمر بأن ألقى داخل عينيه تُرابًا من يده، فانشغل هذا الضخم بتنظيف عينيه بعد أن دفع عمر وسقط أرضًا بعكازيه.

ولكن ظهر إياد من خلف الرجل الثاني الذي كان يراقبهما فقط وخبطه على رأسه بقطعة حديد فسقط أرضًا، ثم تحرَّك ناحية الثاني الذي ما زال مشغولًا بتنظيف وجهه، وخبطه على وجهه بها فترنَّح أرضًا هو الآخر.

دخلا معًا بعد أن ساعده إياد على النهوض والتقاط عكازيه، وبعد أن دلفا إلى الداخل وجدا المكان مظلمًا، ففتح عمر هاتفه ليُضيئه ولو قليلًا بحثًا عن سارة. أضاء هاتفه، ولكنه وجد رجلًا ثالثًا يقف خلفهما يحمل مسدسًا ويقول:

– وفرتوا عليا كتير والله؟

حرَّك فوهة مسدسه بين جسديهما ثم قال:

– مين فيكم إياد؟

رَفَعَ إياد أصبعه إلى الأعلى بأنه من يبحث عنه، فأشار عادل إليه وهو يُشير ناحيته بهاتف سارة قائلًا:

– انت بقى اللي بتساعدها تدعبس ورانا؟

فَهِمَ إياد على الفور أنه قد قرأ المحادثات بينه وبين سارة، فقال إياد له مستهزئًا به وهو ما زال يعطيه ظهره:

– حتى لو قتلتنا، المعلومات دي اتنقلت خلاص لحد تالت غيرنا.

لَمَحَ إياد بطرف عينيه عادل أنه قد تأثَّر بحديثه، وهذا ما كان يسعى إليه، أن يُثير غضبه. وفي جزء من الثانية استخدم إياد مهاراته الجسدية التي

كان يتعلمها منذ الصغر، والتفت ناحية عادل وأمسك بفوهة المسدس، واشتبكَ معه وسقطا أرضًا معًا.

استغلَّ عمر اشتباكهما معًا وأضاء هاتفه في أنحاء الغرفة بحثًا عن سارة التي كانت مكتوفة اليدين وتقول بصوتٍ ضعيف:

– عمر!

استدلَّ على مكانها ثم نزع الحبل المربوط على رجليها وحركها ناحية الخارج ثم قال لها:

– اسبقينا انتي على عربية إياد هتلاقيها برة.

رَجَعَ هو مرة أخرى إلى الداخل ليُنهي الاشتباك الذي ما زال قائمًا بين عادل وإياد.

تحرَّكت سارة ناحية الخارج وهي تخطو خطواتها ببطءٍ شديد، تارة تقع فتقاوم ثم تنهض مجددًا لتكمل طريقها بحثًا عن سيارة إياد التي تعرفها.

خرجت من بوابة المبنى التي كان بجوارها رجلان غارقان في دمائهما أرضًا. سقطت مرة أخرى فنهضت وهي تقاوم مجددًا كي تصل للسيارة التي كانت أمامها مباشرة.

حتى سمعت صوتًا لرصاصتين بداخل الشاليه الذي ما زال عمر وإياد بداخله.

رصاصتان قد سحبتا ما بداخلها من هواء وخارت قواها وسقطت أرضًا ثم فَقَدَت وعيها نهائيًّا.

بعد مرور شهر..

كانا عمر وسارة داخل سيارة يجلسان بجوار بعضهما البعض بالمقعد الخلفي، ويمسك هو بيدها ويتغنى معها، كانا سعيدين معًا على غير العادة.

يرتدي عمر بزّة سوداء وقميصًا أبيض فوقه كرافت سوداء. وترتدي سارة فستانًا أبيض يزينه حجاب أبيض يُضيف إليها جمالًا.

كانت بداخل السيارة ألحان مميزة يعرفانها جيدًا ويتغنيان بها معًا وهما من طلبا أن تُشغَّل ليلة زفافهما:

(فكروني إزاي، هو أنا نسيتك)

كانا يتغنيان بها وهما يبتسمان وينظران لبعضهما البعض في سعادة غامرة. فأكثرهما تفاؤلًا منهما لم يتوقع قط أن تكون نهاية قصتهما الزواج.

ظلا يتبادلان الابتسامات حتى ظهرت سيارة سوداء يعرفانها جيدًا

وهي تحاول أن تصدم السيارة التي كانا بها، والتي حاول سائقها الذي كان صديقهما مفاداتها مرارًا.

كانت السيارة السوداء الأخرى تقترب تارة وتبتعد تارة أخرى وسط ذهول عمر وسارة اللذين ضاعت منهما ابتسامتهما التي كانت على وجهيهما وسيطر عليهما القلق.

عرفا الآن أنهما يحصدان نتيجة ما حدث منذ شهر سابق.

***

للتواصل مع الكاتب وإبداء الآراء على صفحته الشخصية:



https://www.facebook.com/amr.elnagar2018

أو على صفحة الكاتب الرسمية:

www.facebook.com/novelist2018

إهداء

1- لكل من قرأ الجزأ الأول ؛ سواء أثنى عليه أو لم ينل إعجابه.

شكرًا لأنك قد شاركتنى حلمي؛ وأتمنى أن ينال الجزء الثاني إعجابك، أو الجزء الثالث المجهول مصيره حتى الآن...

2- للمطبّات والمشاكل والناس المُحبطة ؛ أُهديكم كتابي فلولا طاقتكم السلبية لما أصبحت أكثر تصميمًا على تحقيق هدفي.

شكرًا لـــ:

1- عائلتي ؛ أصدقائي المُقرّبين ؛ دار اكتب ؛ دار الرسم بالكلمات.

2- دكتور أحمد حجازي: أخي الأكبر ؛ نصائحك دائمًا تأتي في موعدها.

3- مروة نذير؛ اسماء مصطفى ؛ سهيلة صلاح ؛ آية أمين ؛ مصطفي إبراهيم:

أنتم دائمًا عون، وسند؛ أتمنى من الله دوام الصداقة والأخوة.

رسالة

لكِ ؛ ألم يحن الوقت بعد لننـــزع سويًا أقنعة الكبرياء وأقول لكِ أنني افتقدتك كثيرًا، وتُخبريني كم تشتاقي لي ؛ ثم يرحل كلًا منّا بعيدًا ونعود لكبريائنا مُجدّدًا وكأن شيئًا لم يكن.